الجامعـــــــة الإســـلاميـة – غـزة
شئون البحث العلمي والدراسات العليا
كـليـــــــة أصـــــول الديـــــــن
ماجـستيـر التفسير وعلـوم القرآن

The Islamic University–Gaza
Research and Postgraduate Affairs
Faculty of Theology
& Quran Sciences
Master of Interpretation

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الحزب التاسع والثلاثين من آية (54) من سورة النمل إلى آية (50) من سورة القصص

Analytical study of the purposes and objectives of the thirtyninth - verse 54 of Surah Al-naml to verse 50 of Surah Al-Qasas

إِعدَادُ البَاحِثِ
محمد بن سليم بن أحمد العروقي

إشراف الدكتور
زهدي محمد أبو نعمة

قُدِّمَ هَذا البحثُ اِستِكمَالاً لِمُتَطلباتِ الحُصولِ عَلى دَرَجَةِ الْمَاجِستِيرِ
فِي (التفسير وعلوم القرآن) بِكُلِيّةِ (أصول الدين) فِي الجَامِعَةِ الإِسلامِيةِ بِغَزة

صَفَر/1438هـ – نوفمبر/2016م

إقـــــرار

أنا الموقع أدناه مقدم الرسالة التي تحمل العنوان:

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الحزب التاسع والثلاثين

من آية (54) من سورة النمل إلى آية (50) من سورة القصص

Analytical study of the purposes and objectives of the thirtyninth - verse 54 of Surah Al-naml to verse 50 of Surah Al-Qasas

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هو نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وأن هذه الرسالة ككل أو أي جزء منها لم يقدم من قبل الآخرين لنيل درجة أو لقب علمي أو بحثي لدى أي مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى. وأن حقوق النشر محفوظة للجامعة الإسلامية غزة –فلسطين

Declaration

I hereby certify that this submission is the result of my own work, except where otherwise acknowledged, and that this thesis (or any part of it) has not been submitted for a higher degree or quantification to any other university or institution. All copyrights are reserves toIslamic University – Gaza strip paiestine

Student's name:	محمد بن سليم بن أحمد العروقي	اسم الطالب:
Signature:	محمد سليم العروقي	التوقيع:
Date:	2017/01/02	التاريخ:

بسم الله الرحمن الرحيم

الجامعة الإسلامية غزة
The Islamic University of Gaza

مكتب نائب الرئيس للبحث العلمي والدراسات العليا هاتف داخلي 1150

الرقم: ج س غ/35/ Ref:

التاريخ: 2016/12/10 م Date:

نتيجة الحكم على أطروحة ماجستير

بناءً على موافقة شئون البحث العلمي والدراسات العليا بالجامعة الإسلامية بغزة على تشكيل لجنة الحكم على أطروحة الباحث/ **محمد سليم أحمد العروقى** لنيل درجة الماجستير في **كلية** ***أصول الدين/*** **قسم التفسير وعلوم القرآن** وموضوعها:

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الحزب التاسع والثلاثين من آية (54) من سورة النمل إلى آية (50) من سورة القصص

وبعد المناقشة العلنية التي تمت اليوم السبت 11 ربيع الأول 1438هـ، الموافق 2016/12/10 م الساعة الواحدة ظهراً، اجتمعت لجنة الحكم على الأطروحة والمكونة من:

د. زهدي محمد أبو نعمة	مشرفاً و رئيساً	.....
أ.د. زكريا ابراهيم الزميلي	مناقشاً داخلياً	.....
د. ماجد رجب سكر	مناقشاً خارجياً	.....

وبعد المداولة أوصت اللجنة بمنح الباحث درجة الماجستير في **كلية** ***أصول الدين/*** **قسم التفسير وعلوم القرآن.**

واللجنة إذ تمنحه هذه الدرجة فإنها توصيه بتقوى الله ولزوم طاعته وأن يسخر علمه في خدمة دينه ووطنه.

والله ولي التوفيق ،،،

نائب الرئيس لشئون البحث العلمي والدراسات العليا

أ.د. عبدالرؤوف علي المناعمة

أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيم

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾

[يوسف : 2]

ملخص الرسالة

جاءت هذه الدراسة، والتي بعنوان: **(الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الحزب التاسع والثلاثين من الآية 54 من سورة النمل إلى الآية 50 من سورة القصص)**، جاء فيها التحليل الموضوعي لهذا المقطع من الآيات القرآنية مبتدئةً بالفصل التمهيدي، والذي تضمّن ثلاثة مباحث: المبحث الأول: فيه التعريف بالدراسة التحليلية ومعنى المقاصد والأهداف لغة واصطلاحاً، وما تميّزت به المقاصد عن الأهداف، والمبحث الثاني: التعريف العام بسورة النمل، والمبحث الثالث: فيه التعريف العام بسورة القصص، ويتضمّن هذان المبحثان الحديث عن عدد آيات السورة، وأسماءها، ومكان وزمان نزولها، وترتيبها، وفضائلها، وجو نزولها، ومحور موضوعاتها التي تضمّنتها، ومقاصدها العامّة، ومناسبتها لما قبلها، ثمّ قُسِّمت الآيات إلى فصلين: الفصل الأول: من آية 54 من سورة النمل إلى آخرها، والفصل الثاني: من أول سورة القصص حتى آية 50 منه، وتضمّن كل فصل مباحث، وكل مبحث فيه مطالب، يوجد فيها عدد من الآيات (تحقق عدّة مقاصد)، يتم تحليلها من خلال بيان ما ورد فيها من مناسبات، ومفردات، وقراءات، وبلاغة، ثمّ التفسير الإجمالي لهذه الآيات، ثمّ بيان مقاصدها وأهدافها والتي منها: إثبات قدرة الله تعالى وأنّه المتفرّد بالألوهية والربوبية وبعلم الغيب، وإثبات اليوم الآخر، وإعجاز القرآن، ونبوة محمد ﷺ، والفصل الثاني فيه قصّة موسى عليه السلام وفرعون وكيف كانت نجاة موسى ومن معه وإهلاك فرعون وأتباعه.

وفي نهاية الرسالة ذُكرت أهم النتائج والتوصيات التي توصّلت إليها.

Abstract

Title of the study: An Analytical study of purposes and objectives of the thirty ninth' Hizb of the Holy Quran from verse number 54 of Alnaml surah to verse number 50 Alqasas surah.

The study makes an objective analysis of the above verses، starting with an introductory chapter that consists of three sections: the first section introduces the analytical study، the meaning of purposes and objectives both linguistically and technically، and difference between purposes and objectives. The second section: provides general introduction to Alnaml surah، while the third section provides a general introduction to Alqasas surah. These two sections explain the number of verses in each chapter، their names، the place and time of their revelation، its order، virtues، and the circumstance of its revelation، its subjects and objectives، and suitability to chapters prior to it. The verses، then، were divided into two chapters; the first chapter: from verse No. 54 of Alnaml chapter to the end of the chapter. The second chapter starts with the first verse of Alqasas chapter till verse No. 50 of the same chapter. Each chapter includes sections which in turn divided into topics that have a number of verses (achieves several purposes). They are analyzed through explaining their content occasions، vocabulary، recitations، and eloquence then the overall interpretation of these verses. The study then explains its purposes and objectives which include: demonstrating the Ultimate ability of Allah and showing that Allah is the one and only having the Oneness of the worship and Oneness of Lordship. They also aim at demonstrating that Allah is the knower of the unseen، proving the day of Judgment، the miracle of the Holy Quran، and the prophethood of Muhammad (pbuh). The second chapter Explains the story of the prophet Moses and Pharaoh، and shows how Moses the ones with him survive while Pharaoh his followers were destroyed.

The thesis concludes with the most important findings and recommendations.

الشكر والتقدير

أشكر الله تبارك وتعالى أن هدانا للإسلام، وأشكره تبارك وتعالى أن أعانني على إتمام هذه الرسالة وإخراجها على هذا النحو، فقد قال تعالى: ﴿وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ﴾ [النمل : 40].

ولا بد أن أشكر بعد الله من له حق عليّ، فقد قال ﷺ: (لا يشكر الله من لا يشكر الناس)[1]، وأولى من له حق عليّ في إنجازي لهذه الرسالة هو مشرفي الفاضل الدكتور: زهدي محمد أبو نعمة، فأشكره على قبوله الإشراف، وأشكره على حسن المتابعة والاهتمام، وإبداء النصح والتوجيه بصدر رحب حتى اعتمدت هذه الرسالة.

كما أتقدّم كذلك بالشكر الجزيل للمناقِشَين الكريمَين: الأستاذ الدكتور: زكريا إبراهيم الزميلي، والدكتور: ماجد رجب سكر، على قبولهما مناقشة رسالتي وتكميلها بما قدّماه لي من التصويبات والتوجيهات، التي أثْرت هذه الرسالة وارتقت بها، فجزاهم الله خير الجزاء.

والشكر موصول إلى الجامعة الإسلامية وكلية أصول الدين، وكل من علّمني ولو حرفاً.

وكذلك أشكر من كان سبباً من كان سبباً لوجودي بعد الله تعالى، فالشكر لوالدي الكريمين الغاليين، ولزوجتي التي ساندتني في إتمام هذه الرسالة.

كما وأشكر مشايخي الفضلاء، وعلى رأسهم شيخنا الفاضل: الشيخ: فؤاد بن يوسف أبوسعيد.

كما وأشكر إخواني وزملائي الذين أعانوني على هذا العمل، ولكل من ساهم في ذلك ولو بدعاء في ظهر الغيب، وأخصّ منهم زميلي وأخي الأكبر: عماد محمود موسى، الذي قام بتنسيق هذه الرسالة، وبذل في ذلك جهده، كما وأشكر زميلي وأخي: حسين أحمد حمد، فقد كان له دور في تنسيقها، أسأل الله أن يثيبهم عليه أحسن الثواب.

وأرجو أن تكون هذه الرسالة ذات نفع لمن ساهم في إخراجها على هذا النحو، وذات نفع لمن قرأ منها، وأن يدوم هذا النفع حتى نلقى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

---

[1] [الترمذي: سنن الترمذي، الأدب/في شكر المعروف، ج4/255: رقم الحديث 4811]، وصحَّحه الألباني.

فهرس المواضيع

ملخص الرسالة.....أ

ملخص الرسالة باللغة الإنجليزية.....ب

الشكر والتقدير .....ت

فهرس المواضيع.....ث

المـقـدمــة 1

الفصل التمهيدي..... 8

المبحث الأول: التعريف بالدراسة التحليلية والمقاصد والأهداف 9

المطلب الأول: التعريف بالدراسة التحليلية لغة واصطلاحاً 9

أولاً: تعريف الدراسة التحليلية لغة 9

ثانياً: تعريف الدراسة التحليلية اصطلاحاً 9

المطلب الثاني: تعريف المقاصد لغة واصطلاحاً 10

المطلب الثالث: تعريف الأهداف لغة واصطلاحاً 11

المطلب الرابع: أهمية معرفة مقاصد وأهداف السور والآيات..... 12

المطلب الخامس: ما تميّزت به المقاصد عن الأهداف..... 12

المبحث الثاني: التعريف العام بسورة النمل 14

المطلب الأول: عدد آيات سورة النمل وأسماؤها..... 14

المطلب الثاني: مكان وزمان نزول سورة النمل وترتيبها..... 14

المطلب الثالث: فضائل سورة النمل وجو نزولها 15

المطلب الرابع: مناسبة السورة لما قبلها 16

المطلب الخامس: محور السورة وموضوعاتها 16

المطلب السادس: الأهداف العامة لسورة النمل 17

المبحث الثالث: التعريف العام بسورة القصص..... 19

المطلب الأول: عدد آيات السورة وأسماؤها 19

المطلب الثاني: مكان وزمان نزول سورة وترتيبها..... 19

المطلب الثالث: فضائل السورة وجو نزولها 20
المطلب الرابع: محور السورة وموضوعاتها 21
المطلب الخامس: الأهداف العامة لسورة القصص 23
المطلب السادس: مناسبة السورة لما قبلها 23
الفصل الأول: الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الآيات: (54– 93) من سورة النمل 25
المبحث الأول: الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الآيات: (54– 81) من سورة النمل 27
المطلب الأول: قصة لوط ﷺ (54–58)..... 27
المطلب الثاني: استعراض مظاهر قدرة الله، ونقض الشرك وإثبات التوحيد..... 32
المطلب الثالث: الأدلة الدامغة في إثبات الآخرة 42
المطلب الرابع: إثبات النبوة والرسالة 48
المبحث الثاني: الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الآيات: (82–90) من سورة النمل..... 54
المطلب الأول: حَشْر المكذبين وعدم نطقهم يوم القيامة..... 54
المطلب الثاني: يوم القيامة يأتي الناس ذليلين بعد نفخة الفزع..... 56
المطلب الثالث: يوم القيامة يُضاعف أجر المحسنين ويُكبّ المسيء على وجهه 60
المبحث الثالث: الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الآيات:(91– 93) من سورة النمل..... 63
المطلب الأول: الرسول مبلغ عن الله تعالى..... 63
المطلب الثاني: الإنسان مسؤول عن اختياره للأعمال..... 65
المطلب الثالث: لا يغفل الله عن عباده، وسيُبَيّن لهم آياته 66
الفصل الثاني: الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الآيات من (1–50) من سورة القصص (قصة موسىﷺ) ... 69
المبحث الأول: الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الآيات من (1–21) من سورة القصص..... 71
المطلب الأول: حفظ الله للمؤمنين وتمكينهم ولو بعد حين..... 71
المطلب الثاني: عناية الله لموسى في طفولته..... 77
المطلب الثالث: عناية الله لموسى في شبابه..... 82
المبحث الثاني: الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الآيات من (22–32) من سورة القصص 88
المطلب الأول: أدب موسى مع ربه ومع الناس 88
المطلب الثاني: موسى يتعامل بالإحسان..... 92

المطلب الثالث: إكرام الله موسى بالرسالة 95
المبحث الثالث: الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الآيات من (33-50) من سورة القصص 100
المطلب الأول: استعانة موسى بأخيه هارون عليهما السلام 100
المطلب الثاني: هزيمة فرعون بسبب كفره واستكباره 102
المطلب الثالث: ذكر قصة موسى من دلائل نبوة محمد..... 107
الخاتمة..... 114
النتائج 114
التوصيات 115
المصادر والمراجع 116
فهرس الآيات..... 126
فهرس الأحاديث والآثار 129

المـقـدمــة

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أمّا بعد

يتحقق الفوز العظيم بسداد القول وصلاح العمل ومغفرة الذنب، وطريق ذلك طاعة الله ورسوله، وبيان هذا الطريق في الكتاب المُنَزَّل على رسوله ﷺ، فحاجة الناس إلى هذا الكتاب أعظم من حاجتهم إلى الطعام والشراب، وهذه هي غاية القرآن الكريم أن يحصل للناس الفوز العظيم والنجاة من العذاب الأليم؛ لذا ينبغي على المسلم – وخصوصاً أهل العلم – أن يعتنوا بفهم كتاب الله وتدبره وبيان ما فيه من معالم طريق الهداية وطريق النصر والتمكين لهذه الأمة حتى يتم ذلك لهم، ونرجو أن تحقق هذه الرسالة التي بعنوان: (الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الحزب التاسع والثلاثين من الآية 54 من سورة النمل إلى الآية 50 من سورة القصص) جانباً من بيان معالم طريق الهداية لهذه الأمة.

أولاً: أهمية الموضوع وأسباب اختياره

1- بيان ما للموضوع من أهمية، حيث أنه يتعلق بكتاب الله.
2- المساهمة في بيان معالم طريق الهداية لهذه الأمة من خلال توضيح بعض ما جاء في القرآن الكريم.
3- إبراز الطريقة المناسبة للعصر الحالي في تدبر النص القرآني (من الآية 54 من سورة النمل إلى الآية 50 من سورة القصص)
4- ترسيخ مقومات النهوض للفرد والمجتمع في أذهان المسلمين عامة والمتخصصين خاصة.

ثانياً: أهداف الرسالة

1- خدمة الدعوة إلى الله تعالى ببيان مقاصد وأهداف الحزب التاسع والثلاثين من القرآن الكريم.
2- بيان الموضوعات الأساسية للحزب التاسع والثلاثين من القرآن الكريم، وبيان مقاصدها

وأهدافها مع ربطها بواقع الأمة.

3- التأكيد على أن القرآن صالحٌ لكل زمان ومكان وحال، ولكن يحتاج إلى مفسرٍ يبرز هدايات القرآن.
4- أن ينتفع المسلمون عموماً مما احتوته الرسالة من توجيهات، عقدية وتربوية وأخلاقية واجتماعية .... وغيرها.

ثالثاً: الدراسات السابقة

بعد الاطّلاع والبحث في المكتبة المركزية في الجامعة الإسلامية، والبحث عبر شبكة الإنترنت، وسؤال المختصين لم أعثر على أي رسالة علمية محكّمة، سواء كانت رسالة ماجستير أو دكتوراه قد تناولت هذا الموضوع.

وقد جاء هذا البحث استكمالاً لسلسلة الرسائل التي تم اعتمادها في قسم التفسير وعلوم القرآن بكلية أصول الدين في الجامعة الإسلامية، والتي تتناول الدراسة التحليلية للمقاصد والأهداف المتنوعة والمختلفة لآيات القرآن الكريم، وكان نصيبي في هذه الدراسة (الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الحزب التاسع والثلاثين من الآية 54 من سورة النمل إلى الآية 50 من سورة القصص).

رابعاً: منهج البحث

1- اتّبع الباحث المنهج التحليلي في التفسير.
2- قام الباحث بتقسيم آيات الحزب التاسع والثلاثين إلى فصلين وكل فصل ثلاثة مباحث، وكل مبحث ثلاثة مطالب، وكل مطلب يتضمن آيات، قسّمها الباحث لتعلّقها بموضوع معيّن، وليسهل فيما بعد تحليلها وبيان مقاصدها وأهدافها.
3- بيان مقاصد وأهداف الحزب التاسع والثلاثين.
4- الرجوع إلى المعاجم اللغوية من أجل بيان معاني المفردات الغريبة.
5- الرجوع إلى المصادر والمراجع الأصلية من كتب التفسير، وكذلك كتب التفسير المعاصرة.
6- عزو الآيات القرآنية المستشهد بها إلى سورها، بذكر اسم السورة ورقم الآية، بعدها مباشرة في المتن.
7- سيقوم الباحث بتخريج الأحاديث الواردة في البحث تخريجا علميا والحكم عليه بذكر حكم

العلماء عليه، ما عدا الصحيحين.

8- عزو الأقوال المقتبسة لأصحابها وذلك في مواضع الاقتباس وتوثيقها حسب الأصول.

9- إثبات المراجع في الحاشية دون تفصيل مبتدئ بذكر اسم الكتاب، الجزء، والصفحة، مع ذكر التعريف الكامل للكتاب في فهرس المصادر والمراجع.

10-إعداد الفهارس اللازمة الخاصة بالبحث وذلك لتسهيل عملية البحث.

خامساً: خطة البحث

يتكون هذا البحث من مقدمة، وفصل تمهيدي، وفصلين، وخاتمة، كما يأتي:

أمّا المقدمة فتشتمل على

أولاً: أهمية الموضوع وأسباب اختياره

ثانياً: أهداف البحث

ثالثاً: الدارسات السابقة

رابعاً: منهج البحث

خامساً: خطة البحث

الفصل التمهيدي: ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول

التعريف بالدراسة التحليلية والمقاصد والأهداف

ويشتمل على خمسة مطالب

المطلب الأول: التعريف بالدراسة التحليلية

المطلب الثاني: تعريف المقاصد لغة واصطلاحاً

المطلب الثالث: تعريف الأهداف لغة واصطلاحاً

المطلب الرابع: أهمية معرفة مقاصد وأهداف السور والآيات

المطلب الخامس: ما تميّزت به المقاصد عن الأهداف

المبحث الثاني

التعريف العام بسورة النمل

ويشتمل على ستة مطالب

المطلب الأول: عدد آيات السورة وأسماؤها

المطلب الثاني: مكان وزمان نزول السورة وترتيبها

المطلب الثالث: فضائل السورة وجو نزولها

المطلب الرابع: محور السورة وموضوعاتها

المطلب الخامس: الأهداف العامة للسورة

المطلب السادس: مناسبة السورة لما قبلها

المبحث الثالث

التعريف العام بسورة القصص

ويشتمل على ستة مطالب:

المطلب الأول: عدد آيات السورة وأسماؤها

المطلب الثاني: مكان وزمان نزول السورة وترتيبها

المطلب الثالث: فضائل السورة وجو نزولها

المطلب الرابع: محور السورة وموضوعاتها

المطلب الخامس: الأهداف العامة للسورة

المطلب السادس: مناسبة السورة لما قبلها

الفصل الأول

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الآيات: (54– 93) من سورة النمل

الإيمان بالله واليوم الآخر وما فيه

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الآيات: (54– 81) من سورة النمل

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: قصة لوط عليه السلام

المطلب الثاني: استعراض مظاهر قدرة الله، ونقض الشرك وإثبات التوحيد

المطلب الثالث: الأدلة الدامغة في إثبات الآخرة

المطلب الرابع: إثبات النبوة والرسالة

المبحث الثاني

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الآيات: (82–90) من سورة النمل

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: حَشْر المكذبين وعدم نطقهم يوم القيامة

المطلب الثاني: يوم القيامة يأتي الناس ذليلين بعد نفخة الفزع

المطلب الثالث: يوم القيامة يُضاعف أجر المحسنين ويُكبّ المسيء على وجهه

المبحث الثالث

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الآيات: (91– 93) من سورة النمل

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الرسول ﷺ مبلّغ عن الله تعالى

المطلب الثاني: الإنسان مسؤول عن اختياره للأعمال

المطلب الثالث: لا يغفل الله عن عباده، وسيُبيِّن لهم آياته

الفصل الثاني

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الآيات من (1–50) من سورة القصص

قصة موسى عليه السلام

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الآيات من (1–21) من سورة القصص

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: حفظ الله للمؤمنين وتمكينهم ولو بعد حين

المطلب الثاني: عناية الله لموسى عليه السلام في طفولته

المطلب الثالث: عناية الله لموسى عليه السلام في شبابه

المبحث الثاني

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الآيات من (22–32) من سورة القصص

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: أدب موسى عليه السلام مع ربه ومع الناس

المطلب الثاني: موسى عليه السلام يتعامل بإحسان

المطلب الثالث: إكرام الله موسى عليه السلام بالرسالة

المبحث الثالث

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الآيات من (33–50) من سورة القصص

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: استعانة موسى بأخيه هارون عَلَيْهِمَا السَّلَامُ

المطلب الثاني: هزيمة فرعون بسبب كفره واستكباره

المطلب الثالث: ذكر قصة موسى عليه السلام من دلائل نبوة محمد ﷺ

الخاتمة

وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات

الفهارس

وتحتوي على:

1- فهرس الموضوعات
2- فهرس الآيات القرآنية
3- فهرس الأحاديث النبوية
4- فهرس المصادر والمراجع

الفصل

التمـــــهـــيـــدي

المبحث الأول

التعريف بالدراسة التحليلية والمقاصد والأهداف

المطلب الأول: التعريف بالدراسة التحليلية لغة واصطلاحاً

أولاً: تعريف الدراسة التحليلية لغة

الدراسة لغة: دَرَسَ: تأتي بمعنى ذهب أثره وخفَّ وسَهُل، وأصل الدراسة الرياضة ومعاهدة الشيء[1].

دَرَسَ: "الدال والراء والسين لأصل واحد يدل على خفاء وخفض وعَفاء، فالدرس: الطريق الخفيّ، يُقال: دَرَس المنزل: عفا، ومن الباب دَرَسْتُ القُرآنَ وغيرَه. وذلك أنّ الدّارِسَ يتتبَّع ما كان قرأ، كالسَّالك للطريق يتَتبَّعُه" [2].

التحليلية لغة: من حلّ بمعنى هان وقلّ[3]، **حلّها:** "فكّها"[4].

و**تحليل:** "عملية تقسيم الكل إلى أجزائه، وردّ الشي على عناصره"[5].

ثانياً: تعريف الدراسة التحليلية اصطلاحاً

يقول الباحث: إذاً الدراسة التحليلية هي تفكيك الجمل والكلمات حتى يسهل فهمها وتصورها.

وأمّا المقصود بها هنا: هو أن يقوم الباحث بتفكيك الآية لفظة لفظة لمعرفة كل ما يتعلق بها من بلاغة وإعراب وفقه ومعنى و... وغير ذلك ليسهل الاستفادة منها وغيرها من الآيات.

---

[1] انظر: ابن منظور، لسان العرب، (باب درس)، (ج79/6).

[2] ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، (ج268/2).

[3] انظر: المرجع السابق، (ج169/11).

[4] إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، (باب الحاء، مادة: حلّ)، (ج193/1).

[5] عمر، معجم اللغة العربية المعاصر، (ج550/1).

المطلب الثاني: تعريف المقاصد لغة واصطلاحاً

أولاً: تعريف المقاصد لغة

المقاصد لغة: "قَصَدَ يَقْصِدُ قَصْداً فهو قَاصِدٌ وقوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ﴾ [النحل:9] أي على الله تبيين الطريق المستقيم، وطريقٌ قاصد سهل مستقيم وسَفَرٌ قاصدٌ سهل قريب وفي التنزيل العزيز:﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّاتَّبَعُوكَ﴾ [التوبة: 42] أي غير شاق"[1].

والقَصْدُ قَصْدُكَ وقَصْدَكَ أي تُجاهك، والقصد في المعيشة أن لا يسرف ولا يُقَتّر، يقال فلان مقتصد في النفقة[2].

(قصد) القاف والصاد والدال أصول ثلاثة، يدل أحدها على إتيان شيء وأمه، والثاني على اكتناز في الشيء، والثالث: الناقة القصيد، أي المكتنزة الممتلئة لحماً.

فالأصل: قصدته قصدا ومقصدا. ومن الباب: أقصده السهم، إذا أصابه فقتل مكانه، وكأنه قيل ذلك لأنه لم يحد عنه[3].

ثانياً: تعريف المقاصد اصطلاحاً

يقول الباحث: إذا نظرنا إلى الأبحاث والدراسات الشرعية والأصولية المتقدمة يعز أن تجد تعريفا محددا أو دقيقا للمقاصد يحظى بالقبول والاتفاق من قبل كافة العلماء أو أغلبهم.

وإن كان من المُسَلَّم به أنه لم يكن غائباً عن علمائنا المتقدمين العمل بالمقاصد واستحضارها في اجتهاداتهم وآرائهم.

قال الإمام الشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : "الشارع وضع الشريعة على اعتبار المصالح باتفاق"[4]

وقد جاء في عبارة لابن تيمية في كلامه عن المقاصد بأنها: "الغايات المحمودة في مفعولاته ومأموراته – وهي ما تنتهي إليه مفعولاته ومأموراته (تعالى) من العواقب الحميدة – تدل على حكمته البالغة "[5].

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، (ج353/3).

[2] انظر: ابن منظور، لسان العرب، (باب قصد)، (ج353/3).

[3] انظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، (ج95/5).

[4] الشاطبي، الموافقات، (ج139/1).

[5] ابن تيمية، مجموع الفتاوى، (ج19/3).

أمّا بالنسبة للدراسات المعاصرة فثمَّة تعريفات متعددة:

فقد عرّفها الشيخ محمد الطاهر بن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقوله: "مقاصد التشريع العامة هي المعاني والحكم الملحوظة للشارع في جميع أحوال التشريع أو معظمها، بحيث لا تختص ملاحظتها بالكون في نوع خاص من أحكام الشريعة"[1].

أمّا العلامة علال الفاسي فقد قال في تعريف المقاصد عموما: "المراد بمقاصد الشريعة: الغاية منها، والأسرار التي وضعها الشارع عند كل حكم من أحكامها"[2].

يرى الباحث: أنه بناء على ما سبق يمكن أن نعرف مقاصد الآيات والسور أنها: الغايات (الكلية) التي أرادها الله من عباده أن يحققوها من خلال الآيات والسور.

المطلب الثالث: تعريف الأهداف لغة واصطلاحاً

أولاً: تعريف الهدف لغة

الإهدافُ الدُّنو والاستقبال والانتصاب، وقد استهدف أَي انتصب ومن ذلك أُخذ الهَدَفُ لانتصابه لمن يَرْمِيه، والهَدَفُ المُشْرِفُ من الأَرض وإليه يُلْجأُ، والهَدَفُ كل شيء عظيم مرتفع، ويسمى القرطاس هدَفاً وغرَضاً على الاستعارة والقِرْطاسُ ما وُضع في الهدَف ليُرمى.[3]

(هدف) "الهاء والدال والفاء: أُصَيْلٌ يدلُّ على انتصابٍ وارتفاع. والهَدَف: كلُّ شيء عظيمٍ مرتفع، ولذلك سمِّي الرَّجُل الشَّخيص الجافي هَدَفاً"[4].

"هدف إلى الأمر: جعله هدَفًا وغرضًا يسعى إليه: هدف إلى مساعدة الفقراء"[5]، والهدف "هو مطلب أي غرض يُوجَّه إليه القصد"[6].

ثانياً: تعريف الهدف اصطلاحاً:

"هي الأهداف التي شرعت الأحكام لتحقيقها، وأهداف الشارع هي المصالح التي تعود

---

[1] ابن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية، (ج121/2).

[2] الفاسي، مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها، (ص7).

[3] انظر: ابن منظور، لسان العرب، (ج346/9).

[4] ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، (ج39/6).

[5] عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، (ج3/ 2333).

[6] المرجع السابق، (ج2334/3).

إلى العباد في دينهم ودنياهم، سواء كان تحصيلهم عن طريق جلب المصالح أو درء المفاسد"[1].

"هي تلك التغييرات التي يراد حصولها في سلوك الإنسان الفرد وفي ممارسات واتجاهات المجتمع المحلي أو المجتمعات الإنسانية"[2].

ويقول الباحث إنّه يمكن أن نعرف الهدف في اصطلاح ما نحن بصدده على أنه: إحداث التغييرات المحبوبة لله تعالى لدى العبد من خلال تدبّره للآيات والسور.

المطلب الرابع: أهمية معرفة مقاصد وأهداف السور والآيات

1- أنّه هو المقصود من الخطاب القرآني، يقول الإمام الشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

"كل عاقل يعلم أن مقصود الخطاب ليس هو التفقّه في العبارة، بل التفقّه في المعبَّر عنه وما المراد به"[3].

2- تقوي ملكة الغوص والتعمق في فهم الآيات، ويقول ابن عاشور: "تعويد حَمَلة هذه الشريعة، وعلماء هذه الأمة، بالتنقيب والبحث، واستخراج المقاصد من عويصات الأدلة، حتى تكون طبقات علماء الأمة صالحة في كلّ زمان لفهم تشريع الشارع ومقصده من التشريع، فيكونوا قادرين على استنباط الأحكام التشريعية"[4].

3- إبراز الإعجاز.

4- يساعد على دقة ربط الآيات بالواقع.

5- له أثر عظيم في زيادة الإيمان لأنه يعمل على تحقيق مقاصد القرآن.

6- يوضح الطريق للدعاة.

7- يعين على الفهم الصحيح والدقيق لكلام الله.

المطلب الخامس: ما تميّزت به المقاصد عن الأهداف

1- المقاصد تحقق مصالح العباد في الدنيا والآخرة في العاجل والآجل، ودرء المفاسد ودفع المضار المقصود الأساسي وراء أي عمل.

---

[1] العالم، المقاصد العامة للشريعة الإسلامية، (ص79).

[2] الكيلاني، أهداف التربية الإسلامية، (ص18).

[3] الشاطبي، الموافقات، (ج262/4).

[4] ابن عاشور، التحرير والتنوير، (ج158/3).

2- المقاصد تحدد الغايات التي تهدف إليها النصوص من الأوامر والنواهي والمباحات، وتسعى الأحكام الجزئية إلى تحقيقها في حياة المكلفين، أفراداً وأسر وجماعات.
3- المقاصد تظهر المعاني والحكم الملحوظة للشارع في جميع أحوال التشريع.
4- المقاصد تعزز الحِكَم والمبادئ والنتائج التي تسعى الأهداف إليها، فإن تحققت الأهداف أصبحت النتائج مقصودة لذاتها، فالأعمال شرعت للوصول إلى المقاصد.
5- المقاصد العليا تمثل القيم التي من أجلها أُسْتُخلِفَ الإنسان في الأرض ليعمرها ويحقق التوحيد فيها[1].

أهم المصنفات في مقاصد وأهداف السور والآيات

1- مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، للإمام برهان الدين البقاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.
2- التحرير والتنوير، للإمام محمد الطاهر بن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ، حيث يتكلم عن مقاصد السورة بشكل عام في أول تفسيرها تحت اسم أغراض السورة.
3- في ظلال القرآن، للأستاذ المفكر سيد قطب رَحِمَهُ ٱللَّهُ، والمقاصد مبثوثة في ثنايا حديثه.
4- التفسير الكبير للإمام الفخر الرازي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.
5- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للزمخشري رَحِمَهُ ٱللَّهُ.
6- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروز أبادي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.
7- التفسير المنير للأستاذ الدكتور وهبة الزحيلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.
8- تفسير الشيخ أحمد مصطفى المراغي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.
9- زهرة التفاسير، الشيخ محمد أبو زهرة رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

[1] انظر: الخطيب، أهداف ومقاصد وموضوعات سورة التوبة (ص41).

المبحث الثاني: التعريف العام بسورة النمل

المطلب الأول: عدد آيات سورة النمل وأسماؤها

أولاً: عدد آيات سورة النمل

آياتها خمس وتسعون في عدّ الحجاز، وأربع وتسعون في عدّ الشام، وثلاث وتسعون في عدّ الكوفة [1]، والمصحف الذي بين أيدينا على عدّ الكوفة.

ثانيا: أسماؤها

أشهر أسمائها: سورة النمل. وكذلك سميت في صحيح البخاري[2] وجامع الترمذي[3]. وتسمى أيضا سورة سليمان، وهذان الاسمان اقتصر عليهما في الإتقان[4] وغيره.

قال ابن عاشور: "وذكر أبو بكر ابن العربي في أحكام القرآن أنها تسمى سورة الهدهد. ووجه الأسماء الثلاثة أن لفظ النمل ولفظ الهدهد لم يذكر في سورة من القرآن غيرها، وأما تسميتها سورة سليمان فلأن ما ذكر فيها من ملك سليمان مفصلًا لم يذكر مثله في غيرها"[5].

المطلب الثاني: مكان وزمان نزول سورة النمل وترتيبها

أولاً: مكان نزولها

"سورة النمل مكيّة" [6]، وقال القرطبي: كلّها مكيّة في قول الجميع[7]، وقال ابن عاشور: "مكية بالاتفاق"[8].

ثانياً: زمن نزولها

نزلت سورة النمل بعد سورة الشعراء وقبل القصص. كذا روي عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا

---

[1] انظر: الفيروز آبادي، بصائر ذوي التمييز، (ج348/1).

[2] انظر: [البخاري: صحيح البخاري، تفسير القرآن/﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾، ج112/6].

[3] انظر: [الترمذي: سنن الترمذي، تفسير القرآن/من تفسير سورة النمل، ج340/5].

[4] انظر: السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، (ج194/1).

[5] ابن عاشور، التحرير والتنوير، (ج215/19)، غير أنّي رجعت إلى تفسير ابن العربي فلم أجد هذا الاسم.

[6] الطبري، جامع البيان، (ج5/18).

[7] انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (ج154/13).

[8] ابن عاشور، التحرير والتنوير، (ج215/19).

وسعيد بن جبير[1].

ثالثاً: ترتيبها:

"هي السورة الثامنة والأربعون في عداد نزول السور، والسورة السابعة والعشرون في ترتيب المصحف"[2].

المطلب الثالث: فضائل سورة النمل وجو نزولها

أولاً: فضل السورة

لم يقف الباحث على حديث صحيح خاص في فضل سورة النمل، فتبقى داخلة في الفضائل العامة الثابتة للقرآن الكريم.

ثانياً: جو نزولها

"نزلت سورة النمل بعد سورة الشعراء، ونزلت سورة الشعراء فيما بين الهجرة إلى الحبشة والإسراء، فيكون نزول سورة النمل في ذلك التاريخ أيضاً"[3].

قال السيوطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وقد روينا عن ابن عباس، وجابر بن زيد، في ترتيب [نزول] السور: أن الشعراء نزلت ثم طس، ثم القصص، وذلك كافٍ في ترتيبها في المصحف هكذا"[4].

وكان في هذه الفترة من هجرة الحبشة إلى حادثة الإسراء والمعراج فترة اضطهاد للمسلمين وتضييق على الدعوة ومحنة وابتلاء لمحمد ﷺ ووزرائه الكبار، فقد توفيت زوجة النبي ﷺ خديجة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، ومات عمه أبو طالب وفر المسلمون إلى الحبشة وبلوغ غاية التكذيب لما جاء به المصطفى الحبيب بل وتآمر المشركون على اغتياله .... وعذب من أسلم .... وغير ذلك من الأحداث العظام[5]، ففي هذه السورة محاكاة لهذه الأحداث من قصص الأنبياء

---

[1] انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، (ج215/19).

[2] طنطاوي، التفسير الوسيط، (ج295/10).

[3] شرف الدين، الموسوعة القرآنية، خصائص السور (ج177/6).

[4] السيوطي، أسرار ترتيب القرآن، (ص118).

[5] انظر: ابن كثير، السيرة النبوية، (من البداية والنهاية)، (3/2،4،122،228،229)، وانظر: الصوياني، السيرة النبوية كما جاءت في الأحاديث الصحيحة، (ج156/1، 168–170)، وانظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، (ج2625/5).

السابقين وسنة الله مع المكذبين، كما سنرى في بيان تفصيل ما جرى.

المطلب الرابع: مناسبة السورة لما قبلها

ثَمَّ ترابط وثيق بين سورة النمل وسورة الشعراء التي قبلها حيث يكمل بعضها بعضا ويوضح بعضها بعضا، ويمكن إجمال هذا الترابط في الأمور التالية:

1- السورة السابقة (سورة الشعراء) دفعت وردت الأقوال الباطلة من أن هذا القرآن شعر أو أن الرسول ﷺ شاعر أو أنه من وحي الشياطين، فبدأت هذه السورة آياتها بإثبات أن هذا القرآن من عند الله نزل على رسول الله ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ۝٦﴾[1].

2- أنها كالتتمة لها في بيان بقية قصص الأنبياء، وهي قصة داود وسليمان عَلَيْهِمَا السَّلَامُ.

3- أن فيها تفصيلاً لما أجمل في سورة الشعراء من القصص النبوي، وهي قصة موسى في الآيات [7- 14] وقصة صالح في الآيات [45- 53] ولوط في الآيات [54- 58][2].

4- "تلتقي السورتان في بيان وحدة القصد من القصص القرآني، وهو تسلية الرسول ﷺ عما يلقاه من أذى قومه، وإعراضهم عنه"[3].

المطلب الخامس: محور السورة وموضوعاتها

أولاً: محور السورة

"هو العقيدة: الإيمان بالله ، وعبادته وحده ، والإيمان بالآخرة ، وما فيها من ثواب وعقاب. والإيمان بالوحي وأن الغيب كله لله، لا يعلمه سواه. والإيمان بأن الله هو الخالق الرازق واهب النعم وتوجيه القلب إلى شكر أنعم الله على البشر. والإيمان بأن الحول والقوة كلها لله ، وأن لا حول ولا قوة إلا بالله."[4].

ثانياً: موضوعات السورة

هذه السورة المكية تتفق مع أغراض السور المكية الأخرى، فهذا بعض الموضوعات التي تضمّنتها سورة النمل:

---

[1] انظر: الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، (ج205/10).

[2] انظر: الزحيلي، التفسير المنير، (ج252/19).

[3] المرجع السابق، (ج253/19).

[4] قطب، في ظلال القرآن، (ج2634/5).

1- تحدّثت السورة عن بيان أصول العقيدة وهي: التوحيد، والنبوة، والبعث، وإثبات كون القرآن الكريم منزّلا من عند الله العزيز الحكيم.
2- أسهمت السورة في توضيح أن القرآن العظيم معجزة النبي محمد ﷺ الخالدة.
3- تناولت بيان أن القرآن المجيد هدى ورحمة وبشرى للمؤمنين.
4- سردت وقائع مثيرة من قصص الأنبياء: موسى، وداود، وسليمان، وصالح، ولوط عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ، تبين مدى ما تعرّض له موسى وصالح ولوط من أذى أقوامهم، وتكذيبهم برسالاتهم، وإنزال العقاب الأليم بهم.
5- تنبّه إلى ما أنعم الله به على داود وسليمان من النعم العظمى، بهبة النبوة والملك والسلطان، وتسخير الجن والإنس والطير، وإذعان الملكة بلقيس لدعوة سليمان.
6- بيان الأدلة والبراهين على وجود الله وتوحيده من خلق الكون: سمائه وأرضه، بره وبحره، وإلهام الإنسان الإفادة من كنوز الأرض، والهداية في ظلمات البر والبحر، وإمداده بالأرزاق الوفيرة.
7- الحديث عن أهوال يوم القيامة ومغيبات الأحداث، وسعة علم الله، وتعاقب الليل والنهار.
8- أنكرت السورة على المشركين تكذيبهم بالبعث والحشر والنشور.
9- تحدثت عن أشراط الساعة، كخروج دابة الأرض، وحشر فوج من كل أمة، وتسيير الجبال، ثم ذكّرت بالنفخ في الصور لجمع الناس ومجيئهم داخرين صاغرين لله تعالى.
10- ختمت السورة بتصنيف الناس إلى سعداء أبرار، وأشقياء فجار، وجزاء كلّ بما يستحق خيرا أو شرا.
11- إعلام المشركين بوجوب عبادة الله وحده، والتخلي عن عبادة الأصنام والأوثان.
12- التعريف بآيات الله العظمى في وقت لا ينفعهم فيه شيء غير الإيمان بالله وحده، وتعرضهم للجزاء الحتمي عن جميع أعمالهم[1].

المطلب السادس: الأهداف العامة لسورة النمل

يرى الباحث أنه من خلال ما اطّلع عليه من موضوعات السورة ومن خلال تدبّره للسورة، تبيّن له أنّ من الأهداف العامة للسورة ما يأتي:

1- تحقيق الإيمان بالله وحده لا شريك له، وبما له من صفات الكمال ونعوت الجلال،

[1] انظر: الزحيلي، التفسير المنير، (ج19/253- 254).

ومنها أن الغيب لله لا يعلمه سواه، وبأنه الخالق الرازق واهب النِّعم، وأنه لا حول ولا قوة إلا به، بيده الملك يؤتيه من يشاء وينزعه ممن يشاء.

2- تحقيق الإيمان باليوم الآخر وما فيه من ثواب وعقاب، والتخويف بما قبله من إرهاصات وعلامات .

3- توجيه القلب إلى شكر أنعم الله على البشر[1].

4- بيان إعجاز القرآن الكريم ومكانته العظيمة، وأنه هداية لمن وفقه الله .

5- الحثّ على الاعتبار بملك أعظم ملك أوتيه نبي وهو ملك داود وملك سليمان عَلَيۡهِمَاٱلسَّلَامُ، وما أعطاهما الله من علم عظيم .

6- أخذ العبرة من أشهر أمة في العرب أوتيت قوة عظيمة وهم قوم ثمود، فلما كفرت لم تنفعها قوتها.

7- محاجّة المشركين وإفحامهم في إثبات الآخرة، وإبطال دينهم وآلهتهم وتكذيب كهنتهم[2].

---

[1] انظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، (ج5/ 2624).

[2] انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، (ج19/ 215-216).

المبحث الثالث

التعريف العام بسورة القصص

المطلب الأول: عدد آيات السورة وأسماؤها

أولاً: عدد آياتها

وهي ثمانٍ وثمانون آية باتِّفاق العادِّين[1]، وهي كما في المصحف الذي بين أيدينا.

ثانياً: أسماؤها

"ما وقفت عليه من أسمائها: أنها تسمى بسورة القصص وبسورة موسى"[2]، وسبب التسمية بالقصص قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيۡهِ ٱلۡقَصَصَ﴾ [القصص : 25] [3].

يقول الباحث: وتسميتها بسورة موسى ذلك أنها السورة الوحيدة التي جمعت أكثر قصة في القرآن تكراراً وهي قصة موسى فذكر تعالى قصة موسى عليه السلام منذ ميلاده عليه السلام ورضاعته وبلوغه أشده وفراره من بطش فرعون ورجوعه إليه ودعوته له وإهلاك فرعون ونجاة موسى عليه السلام ومن معه وتمكينهم في الأرض وتفاصيل ذلك.

المطلب الثاني: مكان وزمان نزول سورة وترتيبها

أولاً: مكان نزولها

قال مقاتل رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره:

"سورة القصص مكية وفيها من المدني ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤۡمِنُونَ ...﴾ إلى قوله ﴿... سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ لَا نَبۡتَغِي ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ [القصص : 52-55].

وفيها آية ليست بمكية ولا مدنية قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِي فَرَضَ عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٖۚ ...﴾ [القصص:85] نزلت بالحجفة أثناء الهجرة"[4].

---

(1) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، (ج61/20)، والقاسمي، محاسن التأويل، (ج513/7)، والداني، البيان في عدّ آي القرآن، (ص201).

(2) القِنوجي، فتح البيان في مقاصد القرآن، (ج85/10).

(3) القاسمي، محاسن التأويل، (ج513/7).

(4) مقاتل، تفسير مقاتل، (ج333/3-334).

وقول الجمهور على أنّها كلها مكية، كما قال الشيخ ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وَهِيَ مَكِّيَّةٌ فِي قَوْلِ جُمْهُورِ التَّابِعِينَ"[1].

يقدّم الباحث ثلاثة أمور قبل ذكر الراجح من أقوال العلماء السابقة الذكر:

أولاً: القاعدة أنّ السورة التي يثبت نزول آيات منها في مكة تكون جميع آياتها مكية، ولا يقبل الادعاء بأن شيئا من آياتها نزل بالمدينة إلا بدليل، والعكس بالعكس[2].

ثانياً: أنّ ما نزل في مكة أو في أثناء الهجرة قبل حلوله ﷺ في المدينة فهو مكي، ومانزل بعد ذلك فهو مدني، يقول د. مساعد الطيار – حفظه الله –:

"وهذا الضابط الزماني هو الذي اعتمده العلماء المتأخرون، وسارت به الكتب بعدهم"[3].

ثالثاً: أن هذا كما سيق قول جمهور التابعين، بل حتى الذي قال أنّ منها ما نزل في المدينة وما نزل بين مكة والمدينة، كلهم يقولون أن معظمها نزل في مكة.

إذاً الراجح هو أنّ السورة كلّها مكية، والله أعلم.

ثانياً: زمان نزولها

"نَزَلَتْ سورة القصص بعد سورة النَّمل وقبل سورة الإسْراء"[4].

ثالثاً: ترتيبها

"هِي السُّورة التَّاسِعة والأَرْبعُون في عِداد نُزول سور القرآن"[5]، وهي الثامنة والعشرون في ترتيب المصحف[6].

المطلب الثالث: فضائل السورة وجو نزولها

أولاً: فضل السورة

لم يرد في فضل سورة القصص حديث صحيح خاص بها فتبقى داخلة في الفضائل

---

[1] ابن عاشور، التحرير والتنوير، (ج61/20).

[2] انظر: السبت، قواعد التفسير، (ج77/1).

[3] الطيار، المحرر في علوم القرآن، (ص104).

[4] ابن عاشور، التحرير والتنوير، (ج61/20).

[5] المرجع السابق.

[6] انظر: طنطاوي، التفسير الوسيط، (ج369/10).

العامة الثابتة للقرآن الكريم.

ويقول الدكتور محمد مطني: "والذي يبدو أن لكل سورة في الَقُرْآن الكَرِيم فضل خاص بها، وإن كانت جميع سور الَقُرْآن الكَرِيم لها فضيلة، ولكن وردت أحاديث في فضائل سور وآيات مخصوصات كالإخلاص، والكرسي، ولم أقف على حديث صحيح في فضل سُوْرَة الْقَصَصِ"[1].

ثانياً: جو النص

إنّ وقت نزول السورة قريب من وقت نزول السورة السابقة، فكان التكذيب من المشركين، بل واتّهامات وتشويهات لدعوة النبي ﷺ، بل وزينوا شركهم بحجج واهية، وتذرعوا بعدم قبولهم للدعوة بأعذار باطلة؛ بأنهم يخافون على منصبهم بين القبائل، ويخافون ذهاب نعيمهم، واغترّوا بقوتهم التي يعتَدُّون بها، وفي هذه الظروف العصيبة تُوُفِّي مَن كانوا يُعينون النبي ﷺ في دعوته، واجتمعت قوى الشر عليه، واقترب أمر الله له بالهجرة، فجاءت هذه السورة لتبطل شُبَه المشركين، وردّت على اتّهاماتهم، وأجلت الحق وعزَّزته، وواست رسول الله ﷺ على ما أصابه من حزن، كما سَأُبَيِّن ذلك فيما يأتي[2]، كما سنرى فيما يأتي.

المطلب الرابع: محور السورة وموضوعاتها

أولاً: محور سورة القصص

"تلتقي هذه السورة مع ما سبقها من سورتي الشعراء والنمل في بيان أصول العقيدة: التوحيد والرسالة والبعث في ثنايا قصص الأنبياء، وإيضاح الأدلة المثبتة لهذه الأصول في قضايا الكون وعجائبه البديعة ونظمه الفريدة."[3]

وأيضاً تضمّنت السورة: الردّ على من يهاجم هذه الأصول وبيان حقيقة الدنيا والآخرة.

"وكان الطابع الغالب على هذه السورة تبيان قصة موسى مع فرعون التي تمثل الصراع بين طغيان القوي وضعف الضعيف، لكن الأول على الباطل والثاني على الحق، وأعوان الباطل

---

[1] مطني، سورة القصص دراسة تحليلية، (ص13).

[2] انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، (ج20/62-63)، وانظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، (ج5/2673، 2675).

[3] الزحيلي، التفسير المنير، (ج20/52).

هم جند الشيطان وأعوان الحق هم جند الرحمن"[1].

ثانياً: موضوعات السورة

اشتملت هذه السورة على ما اشتملت عليه السور المكية من بيان أصول الإسلام والردّ على من طعن فيها، ولكن تميزت بالتفصيل في قصة موسى وفرعون، وهذه بعض ما اشتملت عليه السورة:

1- التنويه بشأن القرآن والتعريض بأن بلغاء المشركين عاجزون عن الإتيان بسورة مثله.
2- التفصيل في قصة موسى عليه السلام من ولادته ورضاعه وبلوغه أشده وقتله الخطأ للقبطي، وفراره من ظلم فرعون وتوجّهه إلى مدين وزواجه، وعودته إلى بلده، وفي الطريق كلام الله إليه، ودعوته لفرعون، ومعية الله له ولأخيه، واهلاك فرعون بعد أن كذب واستكبر، ونجاة موسى ومن معه من المؤمنين.
3- إعلام المشركين سنة الله في بعثة الرسل ومعاملته الأمم المكذبة لرسلها، وإبطال أعذارهم وبيان عاقبة من خالف رسله في الدنيا والآخرة، وإن اغتر المشركون بما لديهم من أموال وقوة فإن العاقبة للمتقين والآخرة خير وأبقى.
4- تحدّى المشركين بعلم النبي ﷺ بما قصه وهو أمّي لم يقرأ ولم يكتب ولا خالط أهل الكتاب.
5- تحداهم بإعجاز القرآن وهديه مع هدي التوراة (أنهما متناسقان).
6- ذكر الأدلة على وحدانية الله – تعالى –.
7- ضرب المثل بحال قارون، وظنّه بماله واعتداده بنفسه، وما آل إليه.
8- وتخلل ذلك إيماء إلى اقتراب مهاجرة المسلمين إلى المدينة.
9- إشعار إلى أنّ الله مُظهر المسلمين؛ أتباع موسى عليه السلام على أتباع فرعون من قوله: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [القصص : 5] الآية .
10- خُتِمَ الكلام بتسلية النبي ﷺ وتثبيته ووعده بأنه يجعل بلده في قبضته ويمكّنه من نواصي الضالين[2].

---

[1] الزحيلي، التفسير المنير، (ج52/20).

[2] انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، (ج61/20-63).

المطلب الخامس: الأهداف العامة لسورة القصص

ويرى الباحث أنه من خلال الاطّلاع على موضوعات السورة، ومن خلال تدبّر آياتها، يتبيّن أنّ من الأهداف العامة للسورة ما يأتي:

1- إثبات نبوة محمد ﷺ وإقامة الحجة على من أنكر نبوته.
2- إثبات وحدانية الله في ربوبيته وألوهيته وأسماءه وصفاته.
3- موعظة وبشارة للمؤمنين، وتحذير للكافرين أنّ بيان سنّة الله بأنّ السعادة في الدنيا والآخرة والتمكين لِمن أطاع رسل الله، وإن حصل لهم ابتلاء قبل ذلك، وبأنّ الهلاك والخُذلان على من خالف رسله وإن حصل لهم بعض التمكين والقوة قبل ذلك.
4- ترسيخ حقيقة وعقيدة قوة الله وأنها القوة الحقيقية فمن كان الله معه فهو القوي وإن كان مجرداً من أسباب القوة الدنيوية، وأن من تخلى الله عنه فهو الضعيف وإن كان يملك أسباب القوة الدنيوية.
5- أن وعد الله لابد إن يتحقق ولا يتخلف. [1]
6- التواضع لله المستلزم لرد الأمر كله إليه، الناشئ عن الإيمان بالآخرة، الناشئ عن الإيمان بنبوة محمد ﷺ، الثابتة بإعجاز القرآن، ومن إعجازه ذكر القصص على تفصيل لا يمكن أن يكون إلّا وحياً، إذاً الإيمان يُبنى بعضه على بعض، طريقه التسليم والتواضع[2].

المطلب السادس: مناسبة السورة لما قبلها

يرى الباحث: أنّ هناك ترابط وثيق بين سورة القصص والسورتين التين قبلها الشعراء والنمل، ويمكن إجمال ما ظهر لي من ترابط بين سورة القصص وسورة النمل التي قبلها، فيما يأتي:

1- بسط سبحانه في هذه السورة ما أوجز في السورتين قبلها من قصص موسى عليه السلام وفصّل ما أجمله هناك، فشرح تربية فرعون لموسى وذبح أبناء بنى إسرائيل الذي أوجب إلقاء موسى حين ولادته فى اليمّ خوفاً عليه من الذبح، ثم ذكر قتله القبطي، ثم فراره إلى مدين وما وقع له مع شعيب من زواجه ببنته، ثم مناجاته لربه.

---

[1] انظر: القاسمي، محاسن التأويل، (ج513/7).
[2] انظر: البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، (ج233/14).

2- أجمل سبحانه في السورة السالفة توبيخ المشركين بالسؤال عن يوم القيامة وبسطه هنا أتم البسط.

3- فصل سبحانه هناك أحوال بعض المهلكين من قوم صالح وقوم لوط، وأجمله هنا في قوله: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ﴾ [القصص : 58] الآيات.

4- بسط هناك حال من جاء بالحسنة وحال من جاء بالسيئة، وأوجز ذلك هنا، وهكذا من المناسبات التي تظهر بالتأمل حين قراءة السورتين[1].

[1] انظر: المراغي، تفسير المراغي، (ج2802/1).

الفصل الأول

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الآيات:
(54– 93) من سورة النمل
الإيمان بالله واليوم الآخر وما فيه

قسّم الباحث هذا الفصل إلى ثلاثة مباحث

في المبحث الأول جاءت موعظة من قصة لوط عليه السلام وبيان أصول الإيمان.

ففي قصة لوط دعوة لوط لقومه وبيان عظم ما يأتونه من الفاحشة؛ فأنذرهم فلم يستجيبوا ويعبدوا الله وحده لا شريك له، فوقع عليهم العذاب العظيم، وأُهلكوا فلم يبق منهم نذير.

ثمّ جاءت بعد ذلك الآيات في إثبات التوحيد بالأدلّة العقلية والنقلية، والرد على المشركين وأنّهم لا يملكون على شركهم برهاناً ولا دليلاً.

ثمّ بعد بيان أنّ الإنسان مأمور ومنهي ناسب إثبات أنّ القيامة قادمة لا محال، وأنّه لا بد من الحساب بعد البيان.

وخُتم هذا المبحث ببيان طريق النجاة، وتفصيله، وذلك في القرآن الكريم، وإثبات أنه وحي منزل من رب العالمين، وأنّه لا ينتفع به إلا المؤمنون.

ثمّ جاء بعد ذلك المبحث الثاني ليكون مكمّلاً للمبحث الأول في بيان أحوال المكذّبين بيوم القيامة، فجاء فيه ما يقع على المكذّبين من عقاب أليم لا يستطيعون دفعه.

ثمّ ذُكر شيء من شدائد يوم القيامة، وأنّ الناس فيه قسمان لا ثالث لهما: سعداء لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، وأشقياء يجازون بما كانوا يعملون.

ثمّ كان المبحث الثالث، وفيه ختام لهذه الجولة الدعوية، بيّن فيها الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أنّ محمداً ما هو إلا رسول أُمر بالعبادة كما أنتم مأمورون، فهو مبلِّغ عن رب العالمين، فمن استجاب له انتفع باستجابته، ومن أعرض فلا يملك محمد هدايته، والله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لا بد أن يظهر الحق، ويحاسب الخلق.

المبحث الأول

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الآيات: (54- 81) من سورة النمل

المطلب الأول: قصة لوط عليه السلام (54-58)

قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾ * فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوٓا۟ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٥٧﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٥٨﴾﴾

[النمل : 54-58].

أولاً: المناسبة

هذه هي القصّة الرابعة في هذه السورة، قُصِد بها كما قُصِد فيما سبقها من القصص، فكان التحذير من مخالفة أوامر الله، واقتراف الفواحش أو المعاصي الكبيرة، لِئلّا ينزل بالعُصاة من العذاب مثل ما نزل بمن قبلهم من العُصاة[1]، وفي هذه القصة قصة لوط؛ تنويع مع القصص السابقة في هذه السورة، فتضمّنت هذه القصص: دعوة الغريب الذي استُجِيب لدعوته فلم يتخلّف عنها أحد، كما في قصة سليمان، ومنها دعوة القريب لقومه؛ فإذا هم فريقان يختصمان، كما في قصة صالح، ومنها دعوة الغريب الذي لم يستجب له فيها أحد، كما في قصة لوط، وهي التي معنا، فالله بعلمه وحكمته يأتي بالأمور وفق الأسباب، وقد يأتي بها مخالفة للأسباب، فله الاختيار سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وله الحكمة البالغة في ذلك كله[2].

يقول ابن عاشور رحمه الله: "وإنما الذي يستثير سؤالا هنا هو الاقتصار على قصة قوم لوط دون قصة عاد وقصة مدين. وقد بينته آنفا أَنه لمناسبة مجاورة ديار قوم لوط لمملكة سليمان ووقوعها بين ديار ثمود وبين فلسطين وكانت ديارهم ممر قريش إلى بلاد الشام"[3].

وكذلك فإن الترتيب الزماني يوافق ذلك؛ فالنبي صالح قبل النبي لوط عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، والله أعلم.[4]

---

[1] الزحيلي، التفسير المنير، (ج323/19).

[2] انظر: البقاعي، نظم الدرر، (ج181/14).

[3] ابن عاشور، التحرير والتنوير، (ج287/19).

[4] انظر: المرجع السابق.

ثانياً: معاني المفردات

- **الفاحشة:** الفاحشة الشيءَ الغليظ القبيح والمقصود هنا: اللواط.[1]
- **وأنتم تبصرون:** إذ كانوا يأتونها في أنديتهم عيانا بلا ستر ولا حجاب. [2]

أو أنكم تأتونها مع علمكم بأنها فاحشة محرمة، أو أنكم تعلمون عاقبة هذه الفاحشة.[3]

ويرى الباحث: أنه لا مانع من حملها على جميع ما سبق إذ لا تعارض بينها، والله أعلم.

- **قوم تجهلون:** أي: تفعلون فعل الجاهلين بأنها فاحشة مع علمكم بذلك. أو تجهلون حقيقة العاقبة. أو أراد بالجهل: السفاهة والمجانة التي كانوا عليها [4].

ويقول الباحث: أو أنهم يجهلون عظمة الله جَلَّجَلَالُهُ، ولا مانع من حملها على جميع ما سبق، إذ لا تعارض بينها، والله أعلم.

- **يَتَطَهَّرُونَ:** "والطهارة ضربان طهارة جسم وطهارة نفس وحمل عليهما عامة الآيات"[5]،

يقول الباحث: فلوط عليه السلام ومن آمن معه يتطهرون نفساً بترك محبة ما نهى الله عنه من الفواحش وغيرها من المعاصي، وجسماً من ممارستها، والله أعلم.

- **قَدَّرْنَاهَا:** "جَعَلْنَاهَا بِتَقْدِيرِنَا"[6].
- **من الْغَابِرِينَ:** الْبَاقِينَ الهالكين بالعذاب[7].
- **اصْطَفَى:** انتقى الأفضل[8].

ثالثاً: القراءات

- قرأ أبو بكر عاصم **(قَدَرناها)** بتخفيف الدال، وقرأ الباقون **(قَدَّرْنَاهَا)** بتشديد الدال، القراءة

---

[1] انظر: الزجاج، معاني القرآن، (ج352/2).

[2] الجزائري، أيسر التفاسير، (ج30/4).

[3] انظر: الزمخشري، الكشاف، (ج374/3).

[4] انظر: المرجع السابق.

[5] الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، (ج307/1).

[6] الطبري، جامع البيان، (ج97/18).

[7] انظر: عمر، معجم اللغة العربية المعاصر، (ج1591/2).

[8] انظر: الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، (ج428/38).

الثانية تدل على التأكيد[1].

- قرأ البصريان (أبو عمرو ويعقوب) وعاصم **(أَمَّا يُشْرِكُونَ)** بالياء على الغيب، قرأ الباقون **(أما تُشركون)** بالتاء على الخطاب[2].

العلاقة التفسيرية بين القراءتين: القراءة الأولى: فيها توبيخ وتبكيت للكفار حيث تفيد إعراض الله تعالى عن خطابه لهم باستخدام الغيبة، القراءة الثانية: فيها تقريع مع تهديد ووعيد؛ لأن الكلام بالمخاطب[3].

رابعاً: وجوه البلاغة

1- في قوله تعالى: **(تأتون)** كناية عن الاستمتاع والجماع. أي: أإنكم – أيها الممسوخون في فطرتكم وطبائعكم – لتصبون شهوتكم التي ركبها الله – تعالى – فيكم في الرجال دون النساء اللاتي جعلهن الله – تعالى– محل شهوتكم ومتعتكم[4].

2- في قوله تعالى: ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾: إضراب: فأضرب سبحانه عن بيان غرابة أفعالهم؛ لأنه لا غرابة ممن شأنه أن يجهل ولا يتحرى الصواب في أفعاله.

3- في قوله تعالى: ﴿أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾: استفهام إنكاري للمبالغة في الإنكار.

4- في قوله تعالى:﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾﴾

استفهام يفيد استغراب هذا الواقع، وهو إتيان الرجال شهوة من دون النساء، ووجه الغرابة: أولاً أنهم يجعلون الرجال في موضع النساء، وذلك فساد في الفطرة أي فساد، ووجه الغرابة ثانياً، أن الإتيان لأجل الولد، وهذا ليس موضع الحرث المنتج، ووجه الغرابة ثالثاً، أنه فاحشة في ذاته، إذ هو فساد[5].

5- في قوله تعالى: ﴿ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾﴾: استفهام للتبكيت والتهكّم[6].

6- التعبير بالمضارع: **(تَأْتُونَ)**: تفيد التجدّد والاستمرار، وكذلك **(تَجْهَلُونَ)**: للدلالة على أنّ

---

[1] انظر: ابن الجزري، النشر، (ج302/2).

[2] انظر: المرجع السابق، (ج338/2).

[3] انظر: أبو شعبان، تفسير القرآن بالقراءات العشر، (ج155/8).

[4] انظر: طنطاوي، التفسير الوسيط، (ج341/10).

[5] انظر: أبو زهرة، زهرة التفاسير، (ج5465/10–5466).

[6] انظر: المرجع السابق، (ج382/2).

الجهل حالة دائمة لا تنفصل عنهم[1]، وكذلك قوله: **(يَتَطَهَّرُونَ)**: للدلالة على تصوير حال الطهارة المستمرة في لوط ومن معه[2].

7- التعبير بكلمة الرجال دون الذكور: لزيادة التقبيح والتوبيخ[3].

8- التعبير بكلمة: **(قَوْم)**: "إيماء إلى تمكّن صفة العدول عن الحق منهم حتى كأنها من مقومات قوميتهم"[4].

9- "التعبير بقولهم: ﴿مِّن قَرْيَتِكُمْ﴾: إشارة إلى غرورهم وتكبرهم فكأنهم يعتبرون لوطاً وأهله المؤمنين دخلاء عليهم"[5].

10-بين قوله تعالى: (تُبْصِرُونَ – تَجْهَلُونَ – يَتَطَهَّرُونَ)، وقوله تعالى: (ٱلْغَٰبِرِينَ – ٱلْمُنذَرِينَ) توافق الفواصل: مما يزيد في رونق الكلام وجماله، وله على السمع وقع خاص.[6]

خامسًا: التفسير الإجمالي

أي واذكر يا محمد أيضا قوم لوط إذ جاءهم نبيهم لوط فدعاهم إلى الله وحذرهم من مخالفته فقال لهم مستنكرا عليهم أتأتون عظيم المخالفات من إتيان الذكور وترك النساء مع علمكم بشناعة فعلكم، ولكنكم سفهاء لا تراعون عظمة الله ولا تؤمنون بثواب أو عقاب، فما كان رد السفهاء إلا الاستهزاء والعزم على إخراج رسول الله من بلده، فانتقم الله وأنجى رسوله ومن آمن معه وأهلك من خالفوا أمره بعد الإنذار [7].

سادساً: تحقيق المقاصد والأهداف من الآيات

1- بيان ما كان عليه قوم لوط من الفساد والهبوط العقلي والخُلُقي.

2- خطورة المجاهرة بالمعاصي، قال تعالى: ﴿وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾، قال ﷺ: **(كلُّ أُمَّتِي مُعافَى**

---

[1] انظر: أبو زهرة، زهرة التفاسير، (ج5466/10).

[2] انظر: المرجع السابق.

[3] انظر: الآلوسي، روح المعاني، (ج209/10).

[4] ابن عاشور، التحرير والتنوير، (ج12/20).

[5] طنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، (ج342/10).

[6] انظر: الصابوني، صفوة التفاسير، (ج382/2).

[7] انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (ج200/6–201)، وانظر: نخبة من أساتذة التفسير، التفسير الميسر، (ص381–382)، وانظر: الزحيلي، التفسير المنير، (ج323/19–324، ج5/20–10).

إِلَّا المُجاهِرِين)[1].

3- تحريم فاحشة اللواط وأنّها أقبح شيء، لذا عُرِّفت هنا **(الفاحشة)**، وأنّ فاعلها أحط من البهائم، وفي شريعتنا أنّ الفاعل والمفعول يقتلان، قال ﷺ: **(مَنْ وجَدْتُمُوْهُ يَعمَلُ عَمَلَ قَوْمِ لوطٍ فاقْتُلوا الفَاعِلَ والْمَفْعُولَ بِهِ)**[2].

4- بيان أنّ الجهل بالله تعالى وما يجب له من الطاعة، وبما لديه من عذاب وما عنده من نعيم مقيم هو سبب كل شر في الأرض وفساد. ولذا كان الطريق إلى إصلاح البشر هو تعريفهم بالله تعالى حتى إذا عرفوه وآمنوا به أمكنهم أن يستقيموا في الحياة على منهج الإصلاح المهيأ للسعادة والكمال[3]، وبهذا أوصى النبي ﷺ، فلمّا أرسل معاذاً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى اليمن قال له: **(فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَى أَنْ يُوَحِّدُوا اللَّهَ تَعَالَى)**[4]

5- بيان سنّة أنّ الظلمة إذا أعيتهم الحجج والبراهين يفزعون إلى القوة.

6- بيان سنّة أنّ المرء إذا أدْمن على قبحِ قولٍ أو عملٍ يصبحُ غيرَ قبيحٍ عنده[5]، قال ﷺ: **(تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا، فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ، حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ، عَلَى أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَالْآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادّاً[6] كَالْكُوزِ[7] مُجَخِّيًا[8] لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا، وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا، إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ)**[9].

7- من "عدالة الله تعالى ألّا يعذب قوما إلا بعد إنذار، وألا يعجل لهم العقاب إلا بعد نصح

---

(1) [البخاري: صحيح البخاري، الأدب/ستر المؤمن على نفسه، ج20/8، رقم الحديث 6069].

(2) [أبو داوود: سنن أبي داوود، الحدود/فيمن عَمِل عَمَل قوم لوط، ج158/4: رقم الحديث 4462]. وقال الألباني: حسن صحيح.

(3) انظر: الجزائري، أيسر التفاسير، (ج33/4).

(4) [البخاري: صحيح البخاري، التوحيد/ما جاء في دعاء النبي ﷺ، ج114/9: رقم الحديث 7372].

(5) انظر: الجزائري، أيسر التفاسير، (ج33/4).

(6) المُربادّ: الذي في لونه رَبَدَة، وهي لون بين السواد والغَبَرة كلون النعامة [انظر: الجوزي، كشف المشكل، (ج396/1)].

(7) الكوز: هو الإناء [ابن منظور، لسان العرب، (ج402/5)].

(8) المُجَخِّي: المائل: والمعنى مائلاً عن الاستقامة منكوساً [انظر الجوزي، كشف المشكل، (ج396/1)].

(9) [مسلم: صحيح مسلم، الإيمان/الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً، ج128/1: رقم الحديث 231].

وإرشاد وإمهال"[1].

8- "سنة إنجاء الله أولياءه وإهلاكه أعداءه بعد إصرار المنذَرين على الكفر والمعاصي"[2]، قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء : 15]، وهذا من عدل الله تعالى ورحمته.

9- أنّ القرب من الصالحين فقط لا يُنجي، فهذه امرأة لوط هلكت مع الهالكين، مع أنّها كانت في بيت نبي، قال تعالى: ﴿فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾ [التحريم : 10]، فمن كان له والد صالح أو أخ صالح ... أو ما شابه ذلك، فلا يغترّ بقربه منهم، فإنّ الله لا يحابي أحداً، ولكن هذا لا يمنع أن القرب من الصالحين من أسباب الخير، ولكن لمن أراد الخير[3].

10- الحذر من هذه الجريمة، والبعد عن أسبابها، قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ۚ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [البقرة : 208]، وذلك من خلال الالتزام بالعفّة، وتوابع ذلك من عدم إظهار العورات، وعدم إطلاق النظرات، والاقتداء بالصالحين والصالحات، والتربية على ذلك للأبناء والبنات.

المطلب الثاني: استعراض مظاهر قدرة الله، ونقض الشرك وإثبات التوحيد

قال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ۗ آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٥٩ أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا ۗ أَإِلَٰهٌ مَعَ اللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ۝٦٠ أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَإِلَٰهٌ مَعَ اللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝٦١ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ۗ أَإِلَٰهٌ مَعَ اللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ۝٦٢ أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۗ أَإِلَٰهٌ مَعَ اللَّهِ ۚ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٦٣ أَمَّنْ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۗ أَإِلَٰهٌ مَعَ اللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۝٦٤﴾ [النمل : 59-64].

---

[1] الزحيلي، التفسير المنير، (ج6/20).

[2] الجزائري، أيسر التفاسير، (ج33/4).

[3] انظر: العثيمين، تفسير سورة النمل، (ص325-326).

أولاً: المناسبة

في قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَىٰٓۗ﴾ خاتمة ومقدمة: فهي خاتمة؛ لأنها خلاصة لما سبق ذكره من القصص العظيمة التي دلّت على قدرة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وحكمته وعلمه وشديد عقابه ورحمته وغير ذلك من صفات كماله؛ فلذا أمر الله نبيه ﷺ بحمده ﴿قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾ أي: نحمدك يا الله لكمالك في ذاتك وأسمائك وصفاتك وأفعالك، وكذلك نحمدك لكمال إنعامك على خلقك.

ومن ذلك أيضاً ما استنتج من القصص السابقة بأن يحمد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ على إهلاك المشركين المجرمين وإنجاء المرسلين وأتباعهم. وهذا كائن في كل زمان، وسلام عليهم لسلامة ما قالوه من نقص وعيب في حق الله تعالى، ولقيامهم بأمره.

وهي مقدّمة؛ أي قوله: ﴿قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَىٰٓۗ﴾، لما بعدها، فهل مَنْ هذه صفاته وهذه أفعاله خيرٌ أمَّا يشرك هؤلاء المشركون في عبادتهم مع الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ؟

وبعد هذا الإنكار الإجمالي جاء التفصيل بعد ذلك لبيان مزيد من الأدلة التي تظهر مكانة هذا الإله المعبود بحق، وتدحض كل شبه تعلق بها المشركون، في شركهم بربهم[1].

ثانياً: معاني المفردات

- **الحَمْدُ:** هو وصف المحمود بالكمال، فإذا تكرّر وصفه بالكمال أصبح ثناءً[2].
- **سَلَامٌ:** يعني يأمنون من عقابه فلا يخافون[3].
- **عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى:** "أصحاب محمد ﷺ"[4].

"قيل: والمراد بعباده الذين اصطفى: أمّة محمد صلى الله عليه وسلم، والأولى حمله على العموم، فيدخل في ذلك الأنبياء وأتباعهم"[5].

ويرجّح الباحث: أنّ القول الأخير هو الأقرب لقواعد التفسير لعموم اللفظ، والله أعلم.

---

[1] انظر: الزحيلي، التفسير المنير، (ص9-11).

[2] انظر: العثيمين، تفسير سورة النمل، (ص336).

[3] انظر: الطبري، جامع البيان، (ج482/19).

[4] المرجع السابق.

[5] الشوكاني، فتح القدير، (ج168/4).

- **حَدَائِقَ:** واحدتها حديقة وهي: "كلّ أرض ذات شجر وأزهار، محدَّدة أو محاطة بحاجز"[1].
- **ذَاتَ بَهْجَةٍ:** ذات منظر حسن[2].
- **يعدلون:** أصلها عَدَلَ: لها أصلان؛ إمّا المُساواة، وإمّا الاعوجاج[3] والميل فيكون المعنى يساوون بالله غيرَه، أو يميلون عن الحق إلى الباطل[4].

ويقول الباحث: فهم لاشك أنهم ينطبق عليهم الوصفين، فيُحمَل معناها على المعنيين حيث التكامل بينهما: فهم – المشركين – يجعلون لله شريكًا في عبادتهم إياه، فيعبدون معه الآلهة والأنداد والأصنام والأوثانَ، وهم بذلك مالوا عن الحق إلى الباطل، والله أعلم.

- **الْأَرْضَ قَرَاراً:** "قراراً تستقرّون عليها لا تضطرب وتُرَجَّ بكم"[5]، "بحيث يُمْكِنُ الِاسْتِقْرَارُ عَلَيْهَا"[6].
- **خِلَالَهَا أنهاراً:** بينها أنهاراً.[7]
- **وَجَعَلَ لَها رَواسِيَ:** "أَيْ: جَعلَ جِبَالًا تُثَبِّتَ الأرضَ لئلّا تَضطرِب [8].
- **وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا:** يعني حاجزا والْحَاجِزُ: الْمَانِعُ، أَي: جَعَلَ حِاجزاً بَيْنَ الماءِ المَالِحِ والماءِ العَذْبِ لِئَلَّا يَخْتَلِطَانِ، وَذَلِكَ الْحَاجِزُ قُدْرَةُ اللَّهِ تَعالَى[9].
- **الْمُضْطَرّ:** وَهُوَ الْمَكْرُوبُ الْمَجْهُودُ الَّذِي أَحْوَجَهُ مَرضٌ أو فَقْرٌ أو نازلةٌ مِنْ نوازِلِ الدّهْرِ إلى الالْتِجاءِ والْتَضرُّعِ إلى الله تعالى[10].
- **وَيَكْشِفُ السُّوءَ:** "ويرفع الضُّرَّ عَمَّنْ أَصَابَهُ ضُرٌّ"[11].

---

[1] عمر، معجم اللغة المعاصر، (ج460/1).
[2] الزجاج، معاني القرآن، (ج128/4).
[3] انظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، (ج246/4).
[4] انظر: الشوكاني، فتح القدير، (ج168/4).
[5] الطبري، جامع البيان، (ج484/19).
[6] الشوكاني، فتح القدير، (ج169/4).
[7] انظر: إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، (ج253/1).
[8] انظر: الزجاج، معاني القرآن، (ج137/3).
[9] انظر: ابن منظور، لسان العرب، (ج331/5).
[10] انظر: الزمخشري، الكشاف، (ج377/3).
[11] الأبياري، الموسوعة القرآنية، (ج468/10).

- **وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ:** "أَيْ: يَخْلُفُ كُلُّ قَرْنٍ مِنْكُمُ الْقَرْنَ الَّذِي قَبْلَهُ بَعْدَ انْقِرَاضِهِمْ، وَالْمَعْنَى: يُهْلِكُ قَرْنًا، وَيُنْشِئُ آخَرِينَ"[1].
- **بُشراً بَيْنَ يَدَيْ رحمته:** أي: يُرْسِلُ اللهُ تعالى، الرِّياحَ تُبَشِّرُ بالْمَطَرِ الّذي هو رَحْمةٌ، قبل أن يأتي[2].
- **يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ:** أي: يُنْشِئُ الخَلقَ مِنْ عدمٍ فيُحْيِيَه، ثمَّ يُعِيْدُ الكرَّةَ فَيُمِيْتَهُ ثمَّ يُحْيِيَهُ[3].
- **بُرْهَانَكُمْ** : أي: حجتكم التي تفصل بيننا وبينكم[4].

ثالثاً: القراءات

- قرأ أبو عمرو وهشام وروح **(يَذَّكَرون)** بالغيب مع تشديد الذال، قرأ الباقون **(تَذَكَّرُونَ)** بالخطاب مع تخفيف الذال[5].

  كلا القراءتين فيها لوم، لكن القراءة الأولى فيها مزيد تقريع ومبالغة في إنكار عدم اعتبارهم[6].
- قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وأبو جعفر ويعقوب **(نُشُرَاً)** بضم النون والشين، قرأ عاصم **(بُشْرَاً)** بالباء المضمومة مع إسكان الشين، قرأ ابن عامر **(نُشْراً)** بضم النون وإسكان الشين، قرأ الباقون **(نَشْراً)** بفتح النون وإسكان الشين[7].

العلاقة التفسيرية بين القراءات

قراءة: **(نُشُرَا)** جمع نشور بمعنى ناشر أي: محيى[8]، قراءة **(نَشْراً)** نشرت الريح السحاب نشرا أي بسطته وفرَّقته[9]، قراءة **(بُشْرَاً)** من البشارة[10].

---

(1) الشوكاني، فتح القدير، (ج169/4).

(2) انظر: الزجاج، معاني القرآن، (ج345/2).

(3) انظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، (ج103/1)، وانظر: إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، باب العين، (ج635/2)، وانظر: الطبري، جامع البيان، (ج20/15).

(4) انظر: الزبيدي، تاج العروس، (ج250/34).

(5) انظر: ابن الجزري، النشر، (ج339/2).

(6) انظر: القيسي، الكشف، (ج457/1)، وانظر: أبو شعبان، تفسير القرآن بالقراءات العشر، (ج175/8).

(7) انظر: ابن الجزري، النشر، (ج270/2).

(8) انظر: القيسي، الكشف، (ج465/1،466).

(9) انظر: أبو زرعة، حجة القراءات، (ج285/1)، وانظر: القيسي، الكشف، (ج466/1).

(10) انظر: المرجع السابق.

يقول الباحث: فيتركّب من هذه المعاني التفسير الآتي: أنّ الرياح تبشِّر الناس فتبسط السحاب فتفرقه في البلاد لتعم الحياة في أرجائها لينتفع بها الناس، والله أعلم.

رابعاً: وجوه البلاغة

1- بين قوله تعالى: (يَبْدَؤُاْ) و(يُعِيدُهُۥ): طباق.[1].

2- في قوله تعالى "خير": صيغة تفضيل: "لقصد مجاراة معتقدهم أن أصنامهم شركاء الله في الإلهية، بحيث كان لهم حظ وافر من الخير في زعمهم، فعبّر بـ"خير" لإيهام أن المقام لإظهار رجحان إلهية الله تعالى على أصنامهم استدراجاً لهم في التنبيه على الخطأ مع التهكم بهم إذ آثروا عبادة الأصنام على عبادة الله. والعاقل لا يؤثر شيئاً على شيء إلا لداع يدعو إلى إيثاره، ففي هذا الاستفهام عن الأفضل في الخير تنبيه لهم على الخطأ المفرط والجهل المورط لتنفتح بصائرهم إلى الحق إن أرادوا اهتداء. والمعنى: آلله الحقيق بالإلهية أم ما تشركونهم معه"[2].

3- "في قوله تعالى:﴿فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهۡجَةٖ﴾: التفات من الغيبة إلى التكلّم بنون العظمة، لتأكيد اختصاص الفعل بحكم المقابلة بذاته تعالى"[3]

ومن فوائد هذا الالتفات: "أنّه لا شبهة في أنّ خالق السموات والأرض، ومنزّل الماء من السماء، ليس إلا الله- تعالى-، ولكن ربما عرضت الشبهة في أن منبت الشجرة هو الإنسان، فإنّ الإنسان قد يقول: أنا الذي ألقى البذر في الأرض، وأسقيها الماء.. وفاعل السبب، فاعل للمسبب، فأنا المنبت للشجرة.. فلما كان هذا الاحتمال قائما - لا جرم - أزال - سبحانه - هذا الاحتمال؛ لأن الإنسان قد يأتي بالبذر والسقي.. ولا يأتي الزرع على وفق مراده .. فلهذه النكتة جاء الالتفات"[4].

4- في قوله تعالى: (أَمَّن)، وهي مركبة من: (أم) بمعنى (بل) للإضراب الانتقالي- المتضمنة للاستفهام الإنكاري، ومركبة من: (مَنْ) الاستفهامية وهنا للإنكار.

وردت على هذا النحو في هذا المقطع من الآيات خمس مرات.

---

[1] انظر: الصابوني، صفوة التفاسير، (ج382/2).

[2] ابن عاشور، التحرير والتنوير، (ج9/20).

[3] صافي، الجدول، (ج197/20).

[4] طنطاوي، التفسير الوسيط، (ج345/10).

فأفاد استخدامها وتكرارها: الانتقال من لوم وتوبيخ وإنكار إلى لون آخر فيه أشد تأنيباً وتوبيخاً وإنكاراً، وأوضح استدلالا، على وحدانية الله وبطلان ما يعبدونهم من دونه[1].

5- في قوله تعالى: ﴿أَإِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ الاستفهام لإنكار الوقوع، والمعنى لا إله مع الله[2].

6- وفي قوله تعالى: ﴿ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ "استفهام للإنكار والتقريع"[3].

من فوائد الاستفهامات السابقة:

"إلجاء وإلزام المخاطب بالإقرار بالحق وتنبيهه على خطئه. وهذا دليل إجمالي يقصد به ابتداء النظر في التحقيق بالإلهية والعبادة"[4].

7- استخدام لفظ الجلالة (ٱللَّهِ)؛ لأنه اسم جامع لمعاني الصفات كلها التي تتعلق بها أفعاله العظيمة التي ذُكِرَت، فقيل : "آلله خير"[5].

8- الإخبار عنهم بالمضارع (يُشْرِكُونَ) "لإفادة أنهم مستمرون على شركهم لم يستنيروا بدليل العقل ولا أقلعوا بعد التذكير بالدلائل"[6]. وفي مثل قوله: (لَا يَعْلَمُونَ) لبيان تجدد جهلهم بتجدد أفعالهم[7].

9- وأما التعبير بالمضارع: في قوله (أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ)، " مع أنه بدأه وخلقه في الماضي، فهو قد ذكر المضارع دون الماضي لأمرين: أولهما: تصوير البدء واستمراره، فالمضارع يدل على ذلك، والثاني: أن البدء في الخلق مستمر فهو في الحاضر والقابل كما كان في الماضي، وقوله تعالى: (ثُمَّ يُعِيدُهُۥ) التعبير بـ(ثُمَّ) في موضعه؛ لأن بين الإعادة والبدء أعمار الناس، وليس ذلك زمنا قصيرا "[8].

10- التعبير بكلمة: " **قرار**": " القرار: مصدر قرّ، إذا ثبت وسكن. ووصف الأرض به

---

[1] انظر: أبو زهرة، زهرة التفاسير، (ج10/5473،5470)، وانظر: صافي، الجدول، (ج20/193-194).

[2] انظر: أبو زهرة، زهرة التفاسير، (ج20/5472).

[3] طنطاوي، التفسير الوسيط، (ج10/344).

[4] ابن عاشور، التحرير والتنوير، (ج20/9).

[5] المرجع السابق.

[6] ابن عاشور، التحرير والتنوير، (ج20/12).

[7] انظر: أبو زهرة، زهرة التفاسير، (ج20/5472).

[8] المرجع السابق، (ج20/5474).

للمبالغة، أي ذات قرار. والمعنى جعل الأرض ثابتة قارّة غير مضطربة"[1].

11- استخدم اسم الفاعل في قوله "المضطر" للدلالة على ملازمة الشدة والضرر لهذا الإنسان، وكأنّه أمر لا ينفك عنه، فالتجأ إلى الله معتقداً أن لا ملجأ ولا ملاذ إلّا إليه لأنّه على كل شيء قدير[2].

12- "في قوله تعالى: (قَرَارًا - أَنْهَارًا)، (يُشْرِكُونَ - يَعْدِلُونَ - يَعْلَمُونَ - تَذَكَّرُونَ)، توافق الفواصل الذي هو من محاسن الكلام"[3].

خامساً: التفسير الإجمالي

بعدما ذكر سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ قصة لوط عليه السلام مع قومه وبيانه الحق لهم وإعراضهم عنه مع إصرارهم على الباطل، وأنه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ أهلك من أشرك به ونجّى من اصطفاه، ونجّى المؤمنين برسله، أمر – سبحانه – المؤمنين وعلى رأسهم سيد المرسلين محمد ﷺ بأن يحمدوا الله تعالى فيصفوه بالكمال وأن يسلموا على رسله وأنبيائه لسلامة توحيدهم لله.

ثمّ نبّه – تعالى – على ضلال من أشرك به وأنكر عليهم أعظم نكير، ثم بين ذلك بالتفصيل؛ فعدد – تعالى – عدة صفات لا تكون واحدة منها إلا لله تعالى، فكيف تكون لغيره مجتمعة؟ فهذه عظمة الله – تعالى – في خلق السموات والأرض وما خلق فيهما وما بينهما وإنزاله الماء من السماء؛ فتكون به الأحياء، ومنها الحدائق الغناء التي يبهر حسنها العقلاء. فهل يُسوَّى هذا الإله العظيم بمن لا يقدر على إنبات شجرة واحدة؟ أو هل يعدل عن عبادة هذا الإله العظيم بعبادة غيره؟

وهذه قدرة الله – تعالى – في تمهيده الأرض لعباده؛ فجعلها بالجبال الشامخة مستقرة لا تضطرب، وجعل الماء يسير فيها وعليها من عذب ومالح لا يختلطان وفي كل منافع. فهل من عَلِمَ قدرة الله يشرك به؟ لا والله ولكن أكثرهم لا ينتفعون بعلمهم.

وهذه ربوبيته – سبحانه – في رعايته لخلقه؛ فيستجيب دعاء المضطرين، ويكشف عنهم الكرب والبلاء وكل ما يسوؤهم، وكذلك يرعاهم جيلاً بعد جيل، فهل يذكر ويعبد غير هذا الرب العظيم، ولكنهم قليلاً ما يتذكرون.

---

[1] ابن عاشور، التحرير والتنوير، (ج13/20).

[2] انظر: أبو زهرة، زهرة التفاسير، (ج5473/10).

[3] ابن عاشور، التحرير والتنوير، (ج8/20).

وهذا سمُوُّه – تعالى – مع رحمته؛ فيهدي الضال الذي أشرف على الهلاك، ويحرك الرياح مما تحمل فيها من منافع عظيمة رحمة بخلقه، فهل يمكن أن يوصف غير الله تعالى بهذه الصفات العظيمة، أم هل يُسوَّى بينه وبين خلقه فيُعبدون معه؟ تعالى الله عما يشركون.

وهذه ربوبيته وألوهيته – سبحانه – في إيجاد الخلق من عدم وإمدادهم بالنعم وإعادتهم مرة أخرى للحساب. فهل عندكم من دليل يثبت أن هناك إله غير الله – تعالى – يفعل شيئاً من ذلك؟ ولكنكم قوم مفترون كاذبون[1].

سادساً: تحقيق المقاصد والأهداف من الآيات

1- مجيء أمر الله تعالى بالحمد بعد الآيات السابقة فيه إشارة إلى أن جُنْد الله هم الغالبون، وأن العاقبة لهم ليطمئن رسول الله، كما أن تطهير الكون من المفسدين فيه، وحين تستريح منهم البلاد والعباد، هذه نعمة تستوجب ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾ [النمل: 59] .

2- مشروعية السلام عند ذكر الأنبياء عليهم السلام، فمن ذكر أحدهم قال: "عليه السلام".

3- وفي إهلاك الكافرين والمكذِّبين عبرة ودرسٌ لغيرهم، حتى لا يتورطوا في أسباب الهلاك، وهذه نعمة أخرى تستحق الحمد.

4- الله تعالى متفرد في دفع الضرر، وجلب النفع والخير، والقدرة على الحشر والنشر وإهلاك كفار الأمم، وهذا يدفعنا إلى الخوف والرجاء، وأن نحاسب أنفسنا قبل يوم الحشر والنشر، وقبل أن يحلّ بنا ما حلّ بمن خالف أمر الله من الأمم السابقة.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ : " القلب في سيره إلى الله عَزَّوَجَلَّ بمنزلة الطائر، فالمحبة رأسه، والخوف والرجاء جناحاه، فمتى سلم الرأس والجناحان فالطائر جيد الطيران، ومتى قطع الرأس مات الطائر، ومتى فقد الجناحان فهو عرضة لكل صائد وكاسر "[2].

5- " الاستفتاح بالتحميد لله والسلام على الأنبياء والمصطفين من عباده، ولقد توارث العلماء والخطباء والوعاظ جيلا عن جيل هذا الأدب، فحمدوا الله وصلوا على رسول الله ﷺ في فواتح الأمور المفيدة وفي المواعظ والخطب "[3].

---

[1] انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن،(ج1/607-608)، وانظر: الجزائري، أيسر التفاسير،(ج4/34-36).

[2] ابن القيم، مدارج السالكين، (ج1/513).

[3] الزحيلي، التفسير المنير، (ج20/15).

6- " الله تعالى وحده هو خالق السموات والأرض، ومنزل المطر، ومنبت الشجر والزرع والثمر في الحدائق الغنّاء ذات الأنواع والأشكال والألوان المختلفة، والمناظر الجميلة الرائعة الحسن والبهاء، فيكون قطعا هو المستحق للعبادة دون غيره "[1].

7- يباح التنزّه والابتهاج بالحدائق والبساتين، لقوله تعالى في سياق الامتنان على عباده: ﴿حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهۡجَةٖ﴾ [النمل : 60]، فلا يُلام من تنزّه؛ لأن النفس تحتاج هذا وهذا، فمن الناس من يكون هذا من الضروريات له، أي: أن يتنزّه أحياناً، ومنهم لا يهتم بذلك، ومنهم من يجعل ديدنه دائماً التنزّه واللهو، ويُعرِض عمّا خلق له بما خلق له، والخلاصة أنّه لا مانع للتنزّه إذا لم يشغل عن ذكر الله تعالى[2].

8- الله تعالى وحده الذي يدفع الضرر، فيُجيب دعاء المضطر، ويكشف السوء (الضر)، بل ويستجيب الله كل دعاء، قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ﴾ [البقرة : 186]، وقال ﷺ: **(ما مِنْ مسلمٍ يَدعو، ليس بإثمٍ ولا بِقَطيعة رَحِمٍ إلَّا أعطاه إحدى ثلاثٍ: إمَّا أَنْ يُعجِّل لَهُ دَعوتَه، وَإمَّا أَنْ يَدَّخِرَها لهُ في الْآخرة، وَإمَّا أَنْ يَدْفَعَ عنه مِنَ السُّوء مِثْلها. قَال: إذًا نُكْثِرُ، قَالَ: الله أكثر)**[3].

9- الأمور لا تأتي مصادفة، وإنّما لها أسباب تفضي إلى النتائج؛ لأن الذي خلق الكون حكيم، فعلينا أن نؤمن بحكمة الله تعالى في كل شيء، فالله أنزل الماء ليكون سبباً للحياة .. وهكذا.

10- الله تعالى وحده الذي يرشد الطريق في ظلمات البر والبحر حال السفر إلى البلاد البعيدة، وهو الذي يرسل الرياح مبشرات قدّام المطر، فهل يوجد إله مع الله يفعل ذلك ويعينه عليه؟ تنزّه الله عما يشرك به المشركون من دونه[4].

11- أنّ الدعاء من أسباب رفع البلاء.

12- العناية العظمى بتقرير التوحيد بأدلته الباهرة العديدة، وأكثر الدعاة عن هذا غافلون.

---

[1] الزحيلي، التفسير المنير، (ج15/20).

[2] انظر: العثيمين، تفسير سورة النمل، (ص349).

[3] [ابن حنبل: مسند أحمد، المكثرين من الصحابة/مسند أبي سعيد الخدري، ج213/17: رقم الحديث 11133]، وصحّحه الألباني.

[4] انظر: الزحيلي، التفسير المنير، (ج15/20).

13-تقرير البعث الآخِر وإثباته بالاستنباط من الأدلة المذكورة.

"وللإيمان باليوم الآخر ثمرات جليلة منها:

الأولى: الرغبة في فعل الطاعة والحرص عليها رجاء لثواب ذلك اليوم.

الثانية: الرهبة من فعل المعصية والرضى بها خوفا من عقاب ذلك اليوم.

الثالثة: تسلية المؤمن عما يفوته من الدنيا بما يرجوه من نعيم الآخرة وثوابها."[1]

14-مشروعية مجادلة المشركين والكافرين والمبتدعة وغيرهم ممّن يخالف أمر الله، ولكن مع مراعاة المصلحة الشرعية، ولا يجادل هؤلاء إلّا العلماء.

15-جواز استخدام كلمة (خير)، وهي من صيغ التفضيل، بين الحق والباطل، من باب التنزّل عند الجدال، بقصد الاستدراج للمخالفين وإفحامهم.

16-ينبغي أن تكون إقامة الحجّة على الخصم من حيث ما يقرّ به، ثمّ يُنتقَل إلى ما لا يقرّ به؛ لذلك من القواعد الفقهية قول العلماء: لا يُستَدلّ بموضع النزاع[2].

17-أنّ المطالبة بالأدلّة عند المناظرة والمناقشة طريقة ربّانية، لا يُلام صاحبها، بل يُحمد على ذلك، قال تعالى: ﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ﴾ [البقرة : 111].

18-" لا تثبت الأحكام إلّا بالأدّلة النقلية والعقلية "[3]، قال ابن تيمية ﷺ:" العلم إما نقل مصدّق وإما استدلال محقّق "[4].

19-أنّ من ردّ الأدلّة بعد أن جاءته فهو إمّا كافر، وإن كان مسلماً فهو قد شابه الكافرين في ذلك.

20-أن نتوجّه إلى الله وحده تعالى في جميع أحوالنا، فهو الذي خلقنا وغَيْرَنا من عدم، وأمدّنا وغيرنا بالنِّعم، فيكشف عنّا الكرب، ويهدينا السبيل عند الضلال، ويسوق إلينا الرحمات، ويحيينا بعد الممات، فإما نار للكفار، وإما جنات للأبرار.

---

[1] العثيمين، شرح أصول الإيمان، (ص46).

[2] انظر: العثيمين، تفسير سورة النمل، (ص367).

[3] الجزائري، أيسر التفاسير، (ج36/4).

[4] ابن تيمية، مقدمة في أصول التفسير، (ص20).

المطلب الثالث: الأدلة الدامغة في إثبات الآخرة

قال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِي ٱلْءَاخِرَةِ ۚ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا ۖ بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴿٦٧﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٦٩﴾ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٧١﴾ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ ٱلَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٤﴾ وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٧٥﴾﴾ [النمل 65-75].

أولاً: المناسبة

"بعد أن بيّن الله تعالى أنَّه المختص بالقدرة التامَّة الفائقة العامَّة، أتْبَعَه بما هو أيضاً من لوازم الأُلوهية وهو أنَّه المختصُّ بعلم الغيب، وهو القادر على بعث العباد لمجازاتهم"[1].

ثانياً: معاني المفردات

- **أَيَّانَ:** "معناها: متى"[2].
- **عَمُونَ:** "جمع عمٍ. والكلمة وصف للكفار بعدم الإدراك والإبصار، والكلمة تدل على شدة العمى"[3].

والمقصود عمى قلوبهم عن رؤية الحق لما هم فيه من جهل كبير[4].

- **أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ:** ما سطَّره الأولون وكتبوه من أباطيل الأمم السابقة[5].
- **عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ:** ما يُخْتَمُ به مَصَيْرُهُمْ[6].

---

[1] الزحيلي، التفسير المنير، (ج19/20).

[2] الطبري، جامع البيان، (ج293/13).

[3] دروزة، التفسير الحديث، (ج296/3).

[4] انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (ج208/6)، وانظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة،(ج134/4).

[5] انظر: ابن منظور، لسان العرب، فصل السين المهملة، (ج363/4).

[6] انظر: إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، (ج613/2).

- **عسى:** "وهي تدلُّ على قُربٍ وإمكان. وأهلُ العِلم يقولون: ما بعد عَسَى – من الله تعالى – واجبٌ وقوعه"[1].

- **ورَدِفَ:** "تَبِعَ بِقُرْبٍ"[2].

- **مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ:** "أَيْ: ما يُخْفُوْنَ فيها"[3].

ثالثاً: وجوه البلاغة

1- في قوله تعالى: ﴿بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ﴾ تشبيه عدم العلم بالعمى، ومُعدَم العلم بالأعمى، لأنه لا يتفكر ولا يتدبر في آلاء الله تعالى.

2- في قوله تعالى: ﴿مِّنْهَا عَمُونَ﴾ "قدّم ما حقه التأخير: فقدّم: (مِّنْهَا) على متعلّقها، وهي: (عَمُونَ) للاهتمام بهذا المتعلق وللرعاية على الفاصلة"[4].

3- ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ سيروا فعل أمر معناه هنا التهديد لهم على التكذيب والتحذير من أن ينزل بهم ما حاق بالمكذبين من قبلهم[5].

4- **الإضراب الانتقالي:**

أ- بل في قوله تعالى: ﴿بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ للإضراب الانتقالي من الإخبار عنهم بـ ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ وهو ارتقاء إلى ما هو أغرب وأشد ارتقاء من تعييرهم بعدم شعورهم بوقت بعثهم إلى وصف علمهم بالآخرة بأنه مضطرب[6].

ب- "وقوله: ﴿بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّنْهَا﴾ فهو إضراب انتقال للارتقاء من كونهم اضطرب علمهم في الآخرة، أو تقلد خلفهم ما لقنه سلفهم، أو من أنهم انتفى علمهم في الآخرة إلى أن ذلك الاضطراب في العلم قد أثار فيهم شكاً من وقوع الآخرة"[7].

ت- "وقوله: ﴿بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ﴾ اضراب لارتقاء ثالث وهو آخر درجات الارتقاء في

---

[1] انظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، (ج317/4).

[2] ابن عاشور، التحرير والتنوير، (ج27/20).

[3] الأبياري، الموسوعة القرآنية، (ج470/10).

[4] ابن عاشور، التحرير والتنوير، (ج23/20).

[5] انظر: الدرويش، إعراب القرآن وبيانه، (ج245/7).

[6] انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، (ج20/20).

[7] انظر: المرجع السابق.

إثبات ضلالهم وهو أنهم عميان عن شأن الآخرة"[1].

5- **تناسق الأسلوب وجزالته:**

وقد رُتّبت هذه الإضرابات الثلاثة هذا الترتيب لتنزيل أحوالهم؛ فوصفوا أولاً بأنهم لا يشعرون بوقت البعث ثم بأنهم تلقفوا في شأن الآخرة التي البعث من شؤونها علماً مضطرباً أو جهلاً فخبطوا في شك ومرية، فأعقبهم عمى وضلالة بحيث إن هذه الانتقالات مندرجة متصاعدة حتى لو قيل: بل أدّارك علمهم في الآخرة فهم في شك منها فهم منها عمون لحصل المراد. ولكن جاءت طريقة التدرج بالإضراب الانتقالي أجزل وأبهج وأروع وأدل على أن كلاً من هذه الأحوال المترتبة جدير بأن يعتبر فيه المعتبر باستقلاله لا بكونه متفرعاً على ما قبله[2].

6- (أَيَّانَ): استفهام تعجبّي عن الزمان، فالمشركون لا يؤمنون بالبعث، فكيف يمكنهم أن يشعروا بوقته[3].

7- "الهمزة الأولى في قوله: ﴿أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ﴾، وكذلك في: ﴿أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ﴾ استفهام إنكاري"[4].

8- في قوله تعالى ﴿قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ﴾ [النمل: 72]، فكلمة ﴿عَسَىٰٓ﴾ تفيد الرجاء، لكنها من الله تفيد التحقيق، فهي قمة التأكيد والتحقيق في الرجاء، وهي أعلى مراتبه وأبلغها[5].

9- في قوله تعالى:" ﴿بَلْ هُم فِى شَكٍّ مِّنْهَا﴾ جيء بالجملة الاسمية للدلالة على ثبات الخبر ودوامه، و(فِي) ظرفية للدلالة على إحاطة الشك بهم"[6].

10- التعبير بـ(عَمُونَ): هذه الصيغة تدل على شدّة العمى[7].

---

[1] انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، (ج20/20).

[2] انظر: المرجع السابق، (ج23/20).

[3] انظر: المرجع نفسه، (ج20/20).

[4] المرجع نفسه.

[5] انظر: الشعراوي، تفسير الشعراوي، (ج10840/17).

[6] ابن عاشور، التحرير والتنوير، (ج22/20).

[7] انظر: المرجع السابق، (ج23/20).

11- "في لفظة (غَآبِرَةٍ) تاء المبالغة: تلحق الوصف للدلالة على المبالغة فيه"[1].

وزيادة في المبالغة استخدام كلمة (مِنْ) قبل كلمة: (غَآبِرَةٍ).

وزيادة في التوضيح يمكن القول أنّه: إذا أردتَ أنْ تنفي وجود مال معك تقول: ما عندي مال، وهذا يعني أنّه لا مالَ معك يُعتَدّ به، ولا يمنع أن يكون معك مثلاً عدة قروش لا يقال لها مال، فإن أردتَ نفي المال على سبيل تأصيل العموم في النفس تقول: ما عندي من مال، يعني أي شيء من المال مهما صَغُر، فهي للغاية وتأصيل العموم في النفي.

فالمعنى ﴿وَمَا مِنْ غَآبِرَةٍ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [النمل: 75] أنّ الله تعالى يحيط علمه أزلاً بكل شيء، مهما كان صغيراً لا يُعتدُّ به[2].

12- "في قوله: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ﴾ وكذلك اللام في قوله: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ﴾ تأكيد بإنّ، واللام لترسيخ المعنى"[3].

13- "تكرار الهمزة الأولى في: (أَإِنَّا)، والهمزة الأولى في: (أَإِذَا) للمبالغة في التعجب والإنكار"[4].

رابعاً: التفسير الإجمالي:

بعد أن ذكر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في الآية السابقة أن الخلق لا بد أن يعيدهم لحسابهم بعد أن بدأ خلقهم، ذكر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في هذه الآيات الأدلة المفصَّلة في إثبات حدوث الآخرة، ورد على الجاحدين وقوعها، فقال لنبيه ﷺ: قل لهؤلاء الجاحدين أنه لا يعلم أحد الغيب إلا الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وما دام الأمر كذلك فمن باب أولى أنهم لا يعلمون متى يبعثون، بل هؤلاء الجاحدون ضعف علمهم في الآخرة، لا بل لم يكن عندهم علم نافع أصلاً في أمر الآخرة فهم في شك منها، بل هم أضل من ذلك فهم عمون عنها منكرون لها، ومن ذلك قولهم متعجبين: هل يردَّوا هم وآباؤُهم بعد أن يصبحوا تراباً ليحاسبوا يوم القيامة؟ واستدلوا على قولهم الباطل بأنك يا محمد وعدتنا بذلك كما وُعِدَ بذلك آباؤنا من قبل، فلم يقع ما وعدوا به، فهذا دليل على أن هذا الوعد مفترىً وكذباً وهو مما سطره الأولون، فأمر الله رسوله ﷺ أن يرد عليهم بدليل من جنس دليلهم ظاهرٌ

---

[1] انظر: صافي، الجدول، (ج20 /207).

[2] انظر: الشعراوي، تفسير الشعراوي، (ج17 / 10842)

[3] ابن عاشور، التحرير والتنوير، (ج23/20).

[4] المرجع السابق.

بيْن أيديهم لا يجحده جاحد، فيا أيها الجاحدون سيروا في الأرض وانظروا ماذا حل بآبائكم الذين كذَّبوا الرسل من قبل وجحدوا بوقوع الآخرة، ثم سلَّى الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ رسوله ﷺ الذي بعث رحمة للعالمين بأن لا يحزن على عدم إيمان هؤلاء وتكذيبهم بالآخرة، فهم لا يصلحون لذلك، وألَّا يضيق بمكرهم به؛ فالله ناصره كما نصر الرسل من قبله.

ثم ذكر الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ قول الجاحدين المستبعدين لوقوع ما وعد الله به؛ وهو قولهم: متى يقع هذا الوعد إن كان حقا، فأمر الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ رسوله ﷺ أن يرد عليهم بأنه قد اقترب وقوع بعض ما تستعجلون به عليكم من العذاب، وعدم تعجيل الله عَزَّوَجَلَّ العقوبة لهم إمهال لهم ليتوبوا فهذا من عظيم فضل الله عليهم، والله فضله عظيم على جميع الناس، ولكن أكثر الناس لا يشكرون، فالله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ يعلم ما تخفي صدورهم ويعلم ما يعلنون به؛ فيحاسب كلاً بعمله، وكل أعمالهم وكل ما يكون من أمرٍ في السماء والأرض فهو مكتوبٌ محفوظٌ عند الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ[1].

خامساً: تحقيق المقاصد والأهداف من الآيات

1- "أرشدت الآيات إلى أنّه لا يعلم أحد الغيب إلا الله، فذلك مما اختصّ الله به، فيكون هو الإله المستحق للعبادة"[2].

2- لقد جاء في كثير من الآيات القرآنية ذكر إنكار المشركين للبعث واستهزائهم بذلك، وكان من عادة الأنبياء تقريب أمرها كأنها بين أيديهم مبالغة في التحذير، وكل ما هو آت قريب.[3]

3- مخالفة الحق دركات، فقد وصف الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ المشركين بانّهم لا يشعرون متى يُبعثون، ثمّ أنّهم ضَعُفَ واضطرب علمهم في الآخرة، ثمّ أنّهم شاكّون فيها، ثمّ أنهم عمون عنها.

فالمعاصي: الاعتقادية أو القولية أو الفعلية إن لم يتب الإنسان منها فإنها تنقله إلى ما هو أخطر، وهذا من خطوات الشيطان ومن آثار المعاصي[4].

4- لا تلبس الحق بالباطل، إنّ أهل الضلال والانحراف يلبسون الحق بالباطل، اقتداءً بهؤلاء المشركين، فهؤلاء المشركون ردّوا على الإيمان بالآخرة بِشُبَه واهية فقالوا: هل إذا أصبحنا

---

[1] انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، (ج1/608-609)، وانظر: الجزائري، أيسر التفاسير، (ج4/37).

[2] الزحيلي، التفسير المنير، (ج20/21).

[3] انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (ج13/229).

[4] انظر: العثيمين، تفسير سورة النمل، (ص400-401).

نحن وآباؤنا تراباً نخرج مرّة أخرى للحساب؟ ... وغير ذلك من الشُبَه[1]، ويوجد إلى الآن مَن يُنكر البعث والنشور، فلكل قوم وارث.

5- تكرار المخالفة من المدعو لا يجعل الداعي يسكت أو يملّ أو ييأس، بل يزداد إصراراً وعزيمة.

6- أخذ العبرة ممّن سبقنا والاستفادة ممن قبلنا في ديننا ودنيانا، بالتزام الطاعة وعدم المعصية.

7- مشاعر الداعي المرهفة ومحبة الخير لقومه وإن ناله منهم الأذى.

8- أن لا يضيق الداعي والمسلم من مكر الأعداء لهذه الأمة، اقتداء بالرسول ﷺ، فالله لابد أن ينصر عباده المؤمنين، ويُهلكَ الكافرين.

9- كل شيء مكتوب عند الله تعالى، فليطمئن المؤمن بعد أن يأخذ بالأسباب[2].

10- الردّ على القدرية الذين يقولون: إن الله لا يعلم ما يعمله العبد إلّا بعد وقوعه، ففي هذه الآيات أنّ الله كتب ما يكون، ولا يكون الشيء مكتوباً إلّا إذا كان معلوماً[3].

11- من ادّعى علم الغيب فهو كاذب كافر؛ لأن علم الغيب من الصفات الخاصة بالله تعالى، وقد يُعلم الله تعالى بعض الغيب لمن أراد من خلقه، قال تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدًا ٢٧﴾ [الجن : 26-27].

12- المكذِّبون بيوم القيامة سيوقنون به في الآخرة ولكن لا ينفعهم ذلك[4].

13- تسلية الرسول ﷺ؛ لأنه يعاني شدّة من ظلم المشركين وإعراضهم، فينبغي أن يتسلّى الداعي بالقصص والمواعظ والعبر خصوصا ما جاء في القرآن أو في السنة، وكذلك أن يسلّي الدعاة بعضهم بعضا، لأن الداعي يحمل أمانة عظيمة.

14- إنّ هؤلاء الكفار قالوا: متى هذا الوعد بالعذاب؟ فبشّرهم الله بقرب وقوع العذاب عليهم،

---

[1] انظر: العثيمين، تفسير سورة النمل، (ص102).

[2] انظر: الزحيلي، التفسير المنير، (ج26/20).

[3] انظر: العثيمين، تفسير سورة النمل، (ص420).

[4] انظر: الجزائري، أيسر التفاسير، (ج39/4).

فعلى الإنسان أن يحذر من لسانه وألّا يستشرف للشر والفتن، قال ﷺ: (أيّها الناس، لا تتمنوا لقاء العدو، وسلوا الله العافية)[1] .

15- بيان تعنت المشركين وعنادهم.

16- بيان فضل الله تعالى على الناس مع ترك أكثرهم لشكره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

17- بيان إحاطة علم الله بكل شيء[2].

18- أن يداوم المسلم على مراقبة الله تعالى في جميع أحواله، فليس يخفى عليه شيء.

المطلب الرابع: إثبات النبوة والرسالة

قال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾ وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُم بِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴿٧٩﴾ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ ﴾ [النمل : 76-81].

أولاً: المناسبة

"بعد أن أتمّ الله تعالى الكلام في إثبات المبدأ والمعاد بالأدلة الكونية، الحسية والعقلية، أعقب ذلك بإثبات النبوة بأدلة أعظمها القرآن الكريم المشتمل على المعجزات، وإذا كان معجزاً دلّ على صدق محمد ﷺ فيما يدّعيه"[3].

ثانياً: معاني المفردات

- **يَقُصُّ:** "قِصّةٌ يعني: الجملة من الكلام ونحوُه، وقوله تعالى نحن نَقُصُّ عليك أَحسنَ القصص، أَي: نُبَيّن لك أَحسن البيان"[4].
- **الْعَزِيزُ:** القوي الغالب، الذي لا يُغلب[5].

---

[1] [البخاري: صحيح البخاري، الجهاد/كان النبي ﷺ إذا لم يقاتل أول النهار، ج 51/4: رقم الحديث 2966].

[2] انظر: الجزائري، أيسر التفاسير، (ج41/4).

[3] الزحيلي، التفسير المنير، (ج28/20).

[4] ابن منظور، لسان العرب، (ج73/7).

[5] انظر: المرجع السابق، (ج374/5).

- **فَتَوَكَّلْ:** التوكل:" الاعتماد على الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى في حصول المطلوب، ودفع المكروه، مع الثقة به، وفعل الأسباب المأذون فيها "[1].

- **وَلَّوْا مُدْبِرِينَ:** مفردها: ولى مدبرا: يعني انصرف عنه وجعله خلفه.[2] والمقصود هنا: أَنهم: "أَعْرَضُوا عَنِ الْحَقِّ إِعْرَاضًا تَامًّا"[3].

- **ضَلَالَتِهِم:** "الضياع وعدم الرشاد"[4].

ثالثاً: القراءات

- "قرأ ابن كثير ﴿يَسمَعُ الصُّمُّ﴾ بالياء مع فتحها وفتح الميم وضم ميم الصُّم، قرأ الباقون ﴿تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ﴾ بالتاء وضمها وكسر الميم ونصب ميم الصُّم"[5].

العلاقة التفسيرية بين القراءتين

"وبالجمع بين القراءتين يمكننا أن نقول أن الله نفى سماع الكفار للحق بأنفسهم، ونفى كذلك أن يسمعهم النبي ﷺ الحق فيستجيبوا له، مبالغة في شدة إعراضهم عن الهداية وعدم صلاحيتهم لها، والله أعلم"[6].

- "قرأ حمزة (تَهْدِي) بالتاء وفتحها وإسكان الهاء من غير ألف. (العَمْيَ) بالنصب، قرأ الباقون(**بِهَادِى**) بالباء وكسرها وفتح الهاء وألف بعدها. (العَمْيِ) بالخفض"[7].

العلاقة التفسيرية بين القراءتين

وباجتماع القراءتين ممكن استخلاص التفسير الآتي: "نفي قدرة محمد ﷺ على هداية الكفار إلى طريق الله في الحال –كما دلت عليه القراءة الأولى–، وكذلك في الاستقبال –كما دلّت

---

[1] العثيمين، القول المفيد على كتاب التوحيد، (ج2/ 87).

[2] انظر: الزبيدي، تاج العروس، باب (ولي)، (ج249/40)، وانظر: إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، باب(الدال)، (ج269/1).

[3] الشوكاني، فتح القدير، (ج173/4).

[4] ابن منظور، لسان العرب، (ج390/11).

[5] ابن الجزري، النشر، (ج339/2).

[6] أبو زرعة، حجة القراءات، (ج563/1).

[7] ابن الجزري، النشر، (ج339/2).

عليه القراءة الثانية–، وذلك لشدة إعراضهم وعنادهم"[1].

رابعاً: وجوه البلاغة

1- في قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾ "شبّه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أولئك المشركين بالأموات الذين فقدوا الحياة، وبالصم الذين فقدوا السمع، وبالعمى الذين فقدوا البصر، وذلك لأنهم لم ينتفعوا بهذه الحواس، فصاروا كالفاقدين لها"[2].

2- في قوله: ﴿إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾ تعليل للتوكل على الله وحده. أي: توكّل على الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وحده؛ لأنّك– أيّها الرسول الكريم– على الحق الواضح البين، الذي لا تحوم حوله شبهة من باطل.

3- في قوله– تعالى–: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ﴾ وفي قوله تعالى: ﴿وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾ تعليل آخر لوجوب التوكل على الله – تعالى–[3].

4- في قوله تعالى ﴿إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾، "تأكيد ومبالغة" [4]، ويقول الباحث: فهم مع أنّهم يشبهون الأصم والأعمى، فكيف لو كان من هذه صفته قد تولى وأدبر.

5- في قوله (**تَوَكَّلْ**): تفعّل من وكل إليه الأمر، فالتفعّل للمبالغة، يعني: فوّض أمرك كله إلى الله تعالى.[5]

خامساً: التفسير الإجمالي

ذكر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ البراهين الساطعة التي تثبت إعجاز القرآن وأنه من رب العالمين، وأن محمداً رسول كريم؛ فقال: إن من إعجاز القرآن أنه بيّن لبني إسرائيل الحق في كثير مما اختلفوا فيه من مسائل عقدية وتشريعية؛ كاختلاف اليهود والنصارى في عيسى بن مريم، فبين القرآن أنه عبد لا يعبد ورسول لا يكذب، وأنه روح من الله، وأنه لم يقتل ولم يصلب، وغير ذلك مما وقع فيه الخلاف بينهم، ومع ذلك فإن بني إسرائيل مع علمهم بأن هذا إعجاز من القرآن لم يستجيبوا ويؤمنوا به، ولم يهتدوا به، ولم تشملهم رحمة الله؛ لأن هذا القرآن لا يكون هدى ورحمة إلا للمؤمنين؛ لمن آمن به وصدق به واستجاب له. وهذا أيضاً من إعجاز القرآن الكريم، فلن تجد

---

[1] أبو شعبان، تفسير القرآن بالقراءات القرآنية العشر، (ج8/168–169).

[2] طنطاوي، التفسير الوسيط، (ج10/365).

[3] انظر: المرجع السابق.

[4] الصابوني، صفوة التفاسير، (ج2/384).

[5] انظر: الزحيلي، التفسير المنير، (ج20/23).

كتاباً أهدى من هذا الكتاب، ولن تجد كتاباً يحقق الرحمة بين العباد كهذا الكتب في الأمور العقدية والعبادية وفي الأخلاق والمعاملات وفي شتى مجالات الحياة، فدعْ هؤلاء الذين لم يستجيبوا، فإن ربك يقضي بينهم فيما اختلفوا فيه من المسائل، يقضي بينهم بعدله، وهو العزيز الذي لا يغلب، القاهر فوق عباده، النافذ حكمه بلا منازع، العليم، فلا يخفى عليه شيء، ومن ذلك علمه بأسباب اختلافهم ودوافعها وغايتهم من ذلك.

فلا عليك يا رسول الله؛ لا عليك من أعداء الله، فثق بربك واعتمد عليه في جميع أمورك، وفي إبلاغ هذا الدين ومخالفة المشركين، وفي الجهاد لهم، فما عليك إلا الأخذ بالأسباب؛ فإنك لا تملك أن تجعلهم يستجيبون لك، كما أنك لا تستطيع أن تسمع الموتى أو من به صم إن دعيته وهو متولٍ عنك ومدبر، ولا تملك أن تهدي الضال، ولكن الله هو الذي يوصل دعوتك لمن وفّقه للإيمان والإسلام[1].

سادساً: تحقيق المقاصد والأهداف من الآيات

1- يُثبِت الله تعالى بهذه الآيات صدق النبوة وصحة رسالة الرسول ﷺ، وذلك بالقرآن الذي أنزله على قلب نبيه، مشتملا على وجوه عديدة من الإعجاز.

2- ذكر الله تعالى قاعدة عامة في مسيرة الدعوة للنبي ﷺ بقوله: ﴿وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلْعُمْيِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ﴾ أي: ليس في وسعك خلق الإيمان في قلوبهم، وما تسمع إلا المستعدّ لقبول الحق[2].

3- بيان شرف القرآن وفضله، وإنّه هدى من الضلالة ورحمة من العذاب.

4- القرآن رحمة للمؤمنين وهداية لهم، قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "من تدبّر القرآن طالباً للهدى منه، تبيّن له طريق الحق"[3]؛ لذا على المسلم وخصوصاً طالب العلم وكذا العلماء، أنّه إذا أرادوا أن يبحثوا عن مسألة أن يستشعروا نواياهم، وأنّهم يريدون من بحثهم الوصول إلى ما يرضي الله تعالى في هذه المسألة أو تلك، وأن يفرّغوا من قلوبهم اعتقاد الحكم الشرعي قبل البحث، بل ولا يميلوا نفسياً إلى حكم معيّن قبل البحث، كما قيل: ابحث واستدلّ ثمّ اعتقد، ولا تعتقد ثمّ تبحث وتستدلّ فتضلّ، ولكن لا نقول إنّ الذي لم يصل إلى

---

[1] انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، (ج609/1)، وانظر: الزحيلي، التفسير المنير، (ج28/20-31).

[2] انظر: الزحيلي، المرجع السابق، (ج31/20).

[3] ابن تيمية، العقيدة الواسطية، (ص8).

الحق بعد أن بحث عنه أنّ نيته ليست سليمة؛ لأنّه قد تكون هناك موانع أخرى في عدم إصابة الحق؛ لأن الله لا يكلف نفساً إلا وسعها.

5- كلّما كان الإنسان أقوى إيماناً، كان أكثر اهتداءً بالقرآن[1].

6- " لن ينتهي خلاف اليهود والنصارى إلّا بالإسلام، فإذا أسلموا اهتدوا للحق وانتهى كل خلاف بينهم.

7- كلّ خلاف بين الناس اليوم سيحكم الله تعالى بين أهله يوم القيامة، بحكمه العادل، ويوفي كلٌ ما له أو عليه، وهو العزيز العليم."[2]

8- "كلّ قضاء لا يستند إلى قضاء الله فهو باطل"[3].

9- إثبات العدل لله؛ لأن الحكم أُسنِد إليه سبحانه، ولا يليق به إلّا الكمال[4].

10-إثبات اسمي وصفتي العزة والعلم لله تعالى[5].

11-ما دام أنّ حكم الله عن علم وعدل فلا بد أن يكون خير الأحكام، فليطمئن المؤمن بعد أن يسلّم لحكم الله ﷻ سواء في حكمه الكوني أو الشرعي.

12-وجوب التوكّل على الله تعالى، فبالتوكّل على الله تعالى تتيسّر الأمور، فلما واجه النبي ﷺ وكابد دعوة بني إسرائيل وعنادهم، أمره الله بالتوكّل؛ لأنّ الله يقول: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ﴾ [الطلاق:3][6]، فإذا كان الإنسان على الحق فليتوكل على الله ولا يُبالي.

13-إنّ خفاء الحق عن بعض الناس أو أكثر الناس لا يرجع هذا الخفاء إلى ذات الحق، وإنّما إلى الناس بسبب هوى أو جهل، أمّا الحق في ذاته ودين الله فهو بيّن واضح لا خفاء فيه[7].

14-الكفار أموات لخلو أبدانهم من روح الإيمان فلذا هم لا يسمعون الهدى ولا يبصرون

---

[1] انظر: العثيمين، تفسير سورة النمل، (ص429).

[2] الجزائري، أيسر التفاسير، (ج43/4)

[3] انظر: العثيمين، تفسير سورة النمل، (ص434).

[4] انظر: المرجع السابق، (ص435).

[5] انظر: المرجع نفسه.

[6] انظر: المرجع نفسه، (ص441).

[7] انظر: المرجع نفسه، (ص443).

الآيات مهما كانت واضحات. فعلى داعيهم أن يعرف هذا فيهم وليصبر على دعوتهم ودعاويهم[1].

15-إيّاك – أخي المسلم – أن تشابه الأموات (الكفار) بأن تسمع آيات الله تتلى عليك، فلا تتّعظ ولا تأتمر ولا تنتهي، ولا تجاهد نفسك على تغيير حالك لما يحبه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فكيف بمن لا يقرأ القرآن إلا قليلاً، قال ﷺ: (اقرأ القرآن في أربعين)[2]، فإن شئت فاقرأه في أقل من ذلك، ولكن لا تجعل يفوتك أربعون يوماً إلا وقد ختمت فيه القرآن، وقال ﷺ: **(مَثَلُ المُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ القُرْآنَ كَمَثَلِ الأُتْرُجَّةِ، رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ، وَمَثَلُ المُؤْمِنِ الَّذِي لاَ يَقْرَأُ القُرْآنَ كَمَثَلِ التَّمْرَةِ، لاَ رِيحَ لَهَا وَطَعْمُهَا حُلْوٌ، وَمَثَلُ المُنَافِقِ الَّذِي يَقْرَأُ القُرْآنَ مَثَلُ الرَّيْحَانَةِ، رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ، وَمَثَلُ المُنَافِقِ الَّذِي لاَ يَقْرَأُ القُرْآنَ كَمَثَلِ الحَنْظَلَةِ، لَيْسَ لَهَا رِيحٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ)**[3]

---

[1] انظر: الجزائري، أيسر التفاسير، (ج43/4).

[2] [الترمذي: سنن الترمذي، أبواب القراءات، ج196/5: رقم الحديث 2946]، وصحَّحه الألباني.

[3] [البخاري: صحيح البخاري، الأطعمة/ذكر الطعام، ج77/7: رقم الحديث 5427].

المبحث الثاني

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الآيات: (82–90) من سورة النمل

المطلب الأول: حَشْر المكذبين وعدم نطقهم يوم القيامة

قال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَـٰتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو قَالَ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَـٰتِى وَلَمْ تُحِيطُوا۟ بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا۟ فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [النمل : 82–85].

أولاً: المناسبة

"ولما فرغ من عظيم زجرهم بتسليته ﷺ في أمرهم وختم بالإسلام، عطف عليه ذكر ما يوعدون مما تقدم استعجالهم له استهزاء به، وبدأ منه بذكر الدابة"[1].

"وأخّر تعالى الكلام عن علامات القيامة عن إثبات النبوة، لأن هذه الأشياء لا يمكن معرفتها إلا بقول النبي الصادق"[2].

يقول الباحث: ثم ختم ذلك بذكر مشهد من مشاهد الآخرة وخصوصا ما يتعلق بالمكذبين زيادة في تبكيتهم وإقامة الحجة عليهم.

ثانياً: معاني المفردات

- **وَقَعَ الْقَوْلُ:** "أي استحقوا العذاب الذى تتضمنه كلمة الوعيد السابق الذكر"[3].
- **يُوزَعُونَ:** "يحبس أوّلهم على آخرهم، ليجتمع جميعهم، ثم يساقون إلى النار"[4].
- **وَلَمْ تُحِيطُوا بِها عِلْماً:** " ولم تتدبروها كاملة وتعوا ما فيها "[5].

ثالثاً: القراءات

"قرأ الكوفيون (عاصم وحمزة والكسائي وخلف) ويعقوب بفتح همزة (أَنَّ ٱلنَّاسَ)، قرأ الباقون

---

[1] البقاعي، نظم الدرر، (ج216/14).
[2] الزحيلي، التفسير المنير، (ج39/20).
[3] الجمل، مخطوطة الجمل، (ج411/3).
[4] الطبري، جامع البيان، (ج500/9).
[5] الأبياري، الموسوعة القرآنية، (ج472/10)

بكسر الهمزة (إِنَّ)"[1].

الفرق اللغوي بين القراءتين: "إِنَّ وأَنَّ حَرْفَانِ يَنْصِبَانِ الأَسماءَ وَيَرْفَعَانِ الأَخبارَ، فالمكسورةُ مِنْهُمَا يُؤَكَّدُ بِهَا الخبرُ، وَالْمَفْتُوحَةُ وَمَا بَعْدَهَا فِي تأْويل الْمَصْدَرِ"[2].

وبالجمع بين القراءتين تكون (إنّ) تأكيد وقوع الكلام حقيقة من الدابة، و(أَنَّ) تبين ما هو الكلام الذي قالته الدابة، فسبحان الله ما أبلغ كتابه وما أرهبَ آياته، فكلام الدابة في حد ذاته آية وهي تنطق بأن كلامها آية، ولكن الناس أخذتهم الغفلة[3].

رابعاً: وجوه البلاغة

1- استفهام تعجبي في قوله تعالى: ﴿أَكَذَّبْتُم بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا﴾.

2- التوبيخ والتأنيب: في قوله تعالى: ﴿أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[4].

خامساً: التفسير الإجمالي

يخبر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى أن هؤلاء المكذبين سيستمرون في تكذيبهم حتى لا ينكر عليهم أحد من البشر، وحتى يقترب وقوع ما وعدوا به يوم القيامة، والتي يتقدمها علامات تنبِّؤ باقترابها.

ومن هذه العلامات العظيمة الكبرى أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى يخرج للناس دابّة فيها آيات عظيمة؛ منها أنها تنكر على الناس تكذيبهم بآيات الله وريبهم فيها.

ثمّ إذا كان يوم القيامة حشر أئمة التكذيب من كل أمة، فإذا جُمعوا يقول لهم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى موبخاً: لم كذبتم بالأدلة العظيمة والآيات الظاهرة التي أتتكم، ولم تردوها لعلم، ولكن ظلماً وعدواناً؟ فماذا كنتم تعملون في دنياكم؟

عندها يقع عليهم العذاب بظلمهم واستكبارهم، فلا يستطيعون أن ينطقوا ليدافعوا عن أنفسهم و يدفعوا عنها العذاب.

ثمّ يتعجب الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى من إنكارهم ذلك مع أن بين أيديهم آيات عظيمة تدل على الحشر والنشور، فهم في كل يوم يموتون وينشرون، ولكن لا ينتفع بآيات الله إلا من آمن به وصدّق وصدق[5].

---

[1] ابن الجزري، النشر، (ج338/2).

[2] ابن منظور، لسان العرب، (ج32/13).

[3] انظر: أبو شعبان، تفسير القرآن بالقراءات القرآنية العشر، (ج170/8).

[4] انظر: الزحيلي، التفسير المنير، (ج387/2).

[5] انظر: الجزائري، أيسر التفاسير، (ج44/4-45)، وانظر: المرجع السابق، (ج35/20-37).

سادساً: تحقيق المقاصد والأهداف من الآيات

1- قدرة الله على كل شيء، أنطق البهيمة العجماء.
2- من حكمة الله أنّه ينذر بالآيات الكونية إن لم تفد الآيات الشرعية، مثل الكسوف والزلازل والفياضانات ...، فعلينا إذا رأينا شيئاً من ذلك أن نعلم أنّ هذه آيات من الله تعالى يخوّف بها عباده[1].
3- تقوية الإيمان بالله عَزَّوَجَلَّ، والإكثار من الأعمال الصالحة قبل ظهور العلامات الكبرى ليوم القيامة، وقبل فوات الأوان، قال ﷺ: (بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا)[2]
4- الحذر من الحساب في يوم القيامة، حيث هنالك لا يفلت المجرم، ولا تنفعه أي حيلة، بل لا تملك أعضاؤه أن تدافع عنه، ولا أن تدفع عنه مثقال ذرة من العذاب.
5- "إن مفاجئات يوم القيامة وأهوالها كثيرة وغريبة ومذهلة"[3].
6- "ويل لرؤساء الضلالة والشر والشرك والباطل إذ يؤتى بهم ويسألون"[4].
7- إثبات صفة الكلام لله تعالى بحرف وصوت مسموع، فقد قال تعالى: ﴿قَالَ أَكَذَّبْتُم﴾ [النمل:84][5].

المطلب الثاني: يوم القيامة يأتي الناس ذليلين بعد نفخة الفزع

قال تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٦﴾ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ ۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ ﴿٨٧﴾ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ ۚ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ۚ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [النمل:86-88].

أولاً: المناسبة

ولمّا ذكر الحشر في الآيات السابقة، ناسب أن يذكر بعدها دليلاً واضحاً بين أيدي

---

[1] انظر: العثيمين، تفسير سورة النمل، (ص465).
[2] [مسلم: صحيح مسلم، الإيمان/الحث على المبادرة بالأعمال، ج110/1: رقم الحديث 186].
[3] الزحيلي، التفسير المنير، (ج20/ 37).
[4] الجزائري، أيسر التفاسير، (ج46/4).
[5] انظر: العثيمين، تفسير سورة النمل، (ص472).

المشركين تُثبت قدرة الله على الحشر، حتى يكون ذلك أبلغ في إقامة الحجة، فذكر لهم نومهم في الليل كالموت، وانتشارهم في النهار كالبعث، ثمّ أتبع ذلك بذكر علامتين من علامات يوم القيامة؛ وهما: النفخ في الصور، وتسيير الجبال، ثمّ ذكر أحوال المُكذِّبين[1].

ثانياً: معاني المفردات

- "**يُنْفَخُ فِي الصُّورِ**: عن رسول الله ﷺ، أنه قال: "الصور قرن ينفخ فيه"[2]".
- **الصور**: "آلة تشبه القرن ينفخ فيها لتكبير الصوت. وهي البوق أيضاً"[3].
- **فَفَزِعَ**: "الفزع بمعنى الخوف"[4].

"والفَزع أعمّ من الخوف إذ هو اضطراب يحصل من الإحساس بشيء شأنُه أن يتخلص منه"[5].

ويقول الباحث: أن الفزع هو الخوف الشديد الذي يصل إلى درجة اضطراب الخائف، والله أعلم.

- **دَاخِرِينَ**: "ذليلين أو صاغرين"[6].
- **تحسبها جَامِدَةً**: "أي: تظنها واقفة لا تتحرك"[7].

ثالثاً: القراءات

- "قرأ حمزة وخلف وحفص **(أَتَوْهُ)** بفتح التاء وقصر الهمزة، قرأ الباقون **(آتُوه)** بضم التاء ومد الهمزة"[8].

المعنى اللغوي: تكون بقصر الهمزة وفتح التاء فعلا ماضيا وبالمد وضم التاء اسم فاعل

---

[1] انظر: البقاعي، نظم الدرر، (ج14/221–222)، وانظر: الزحيلي، التفسير المنير، (ج20/40).

[2] [أبو داوود: سنن أبي داوود، السُّنة/في ذكر البعث والصور، ج4/236: رقم الحديث 4742]، وصحَّحه الألباني.

[3] دروزة، التفسير الحديث، (ج3/304).

[4] الغزنوي، إيجاز البيان عن معاني القرآن، (ج2/637).

[5] ابن عاشور، التحرير والتنوير، (ج23/233).

[6] دروزة، التفسير الحديث، (ج3/304).

[7] ابن قتيبة، غريب القرآن، (ج1/327).

[8] ابن الجزري، النشر، (ج2/339).

مضافاً للضمير حملا على معنى كل على حد وكلهم آتيه[1].

العلاقة التفسيرية بين القراءتين

التأكيد على أن حضور الخلائق إلى الله تعالى محقق يوم القيامة وسوف يأتون مسرعين ذليلين خاضعين، وأن حضورهم سوف يكون مستمراً لأنَّ كلاً سوف يأتي بمفرده ليحاسب[2].

- "قرأ ابن كثير وهشام وأبو عمرو ويعقوب **(يَفعلون)** بالغيب، قرأ الباقون **(تَفْعَلُونَ)** بالخطاب"[3].

العلاقة التفسيرية بين القراءتين

قراءة الغيبة على الترغيب في أن المستجيبين لهم الأمن والأمان، وقراءة الغيبة على الترهيب لإعراض الله عمَّن خالف أمره[4].

رابعاً: وجوه البلاغة

1- في قوله تعالى: ﴿وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾، تشبيه البليغ: "أي تمر كمرّ السحاب في السرعة، حذفت فيه الأداة ووجه الشبه"[5].

2- في قوله تعالى ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾ "طباق عجيب بين الجمود والحركة السريعة، فجعل ما يبدو لعين الناظر كالجبل في جموده ورسوخه ولكنه سريع يمر مرورا حثيثا كما يمر السحاب، وهذا شأن الأجرام العظام المتكاثرة العدد إذا تحركت لا تكاد تتبين حركتها"[6].

3- "في قوله تعالى ﴿وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ أي: ليبصروا بما فيه من الإضاءة، وطرق التقلب في أمور معاشهم، فبولغ حيث جعل الإبصار الذي هو حال الناس حالا له"[7].

4- عبّر بـ**(مَرَّ)** عن مرور؛ لأنّ مرَّ فيها إشعار بالسرعة، ولأنّها أشبه بالفعل الماضي الذي

---

[1] انظر: البناء، إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، (ج432/1).

[2] أبو شعبان، تفسير القرآن بالقراءات العشر، (ج171/8).

[3] ابن الجزري، النشر، (ج339/2).

[4] انظر: البقاعي، نظم الدرر، (ج225/14).

[5] الزحيلي، التفسير المنير، (ج39/20).

[6] صافي، الجدول، (ج217/20).

[7] الآلوسي، روح المعاني، (ج239/10) .

يدلّ على الثبوت[1].

خامساً: التفسير الإجمالي

يتعجّب الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ ممّن يكذب ويستبعد وقوع يوم القيامة، مع أنّ هناك أدلة كثيرة وآيات عظيمة تُثْبِت ذلك وتجعله غير مستبعد؛ فالناس في كل يوم ينشرون من موتهم (وهو النوم)، مما يحدث في ليلهم ونهارهم.

وفي الليل والنهار غير ذلك من الآيات العظيمة والنعم الوفيرة، ولكن لا ينتفع بذلك إلا من صدّق وآمن بالله وكتابه ورسوله.

وفي ذلك الحشر مخاوف عظيمة ينبغي أن يحذرها الإنسان؛ فمن هذه المخاوف أنّه ينفخ في الصور نفخة توقع الفزع على جميع الخلائق إلا من استثناه الله من هذا الفزع. فيأتي الناس كلهم يوم القيامة ذليلين صاغرين لله رب العالمين، وينظرون إلى الجبال يظنونها ثابتة كما كانت عليه من قبل، ولكنها في حقيقة الأمر تمر كسحاب يدفعه الريح من هول ذلك اليوم.

فذلك صنع الله الذي أحكم كل شيء خلقاً وتدبيراً، فهو الخبير الذي سيجازي كلاً بعمله في ذلك اليوم[2].

سادساً: تحقيق المقاصد والأهداف من الآيات

1- أنّ من حكمة الله تعالى: أن جعل ليلاً فيه السكون والراحة والاستعداد، ونهاراً فيه عمل وتقدّم وإنتاج، فعلى قدر الالتزام بهذه الحكمة والسنّة الإلهية يكون الإنتاج والتقدّم، وعلى قدر مخالفتها يكون التأخّر والتخلّف، فإذا انتشر هذا في المجتمع بأن أصبح ليلهم سهراً ونهارهم كسلاً، انتشر الفقر والاضطرابات النفسية والفشل، والتبعية للغير على مستوى الفرد والأمة جميعاً.

فلا بدّ من العناية بذلك؛ لأنّ من أعظم آثار مخالفة هذه السنّة في حياة الإنسان: عدم إقامة الصلوات في أو قاتها أو أدائها بتكاسل، أو إضاعتها بالكلية، وهذا من أعظم أسباب الفشل والخذلان، عياذاً بالرحمن.[3]

2- "من أهوال وعلامات يوم القيامة المذكورة في هذه الآيات: النفخ في الصور– تسيير

---

[1] انظر: صافي، الجدول، (ج217/20).

[2] انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، (ج610/1)، وانظر: الجزائري، أيسر التفاسير، (ج45/4).

[3] انظر: العثيمين، تفسير سورة النمل، (ص481–482).

الجبال من أماكنها– تغيير معالم الأرض"[1].

3- "في آية الليل والنهار ما يدل بوضوح على عقيدة البعث الآخر والحساب والجزاء"[2].

4- من طرق التعليم أسلوب الاستنتاج؛ لأنه أكثر ثُبوتاً لدى المتعلِم.

5- من فوائد ذكر تفاصيل يوم القيامة: أنّه يَبعث على تقوية الإيمان به، بخلاف لو كان مجملاً؛ فالتفصيل للشيء يَبعث على التصوّر والتفكّر أكثر فأكثر.

6- "تقرير عقيدة البعث والجزاء بذكر أحداثها مفصلّة.

7- بيان كيفية خراب العوالم وفناء الأكوان"[3].

8- أنّ خراب العالم لا يعني اضطراب الخلق وعدم اتزان غير مقصود من الله تعالى، أو أنّه كائن من غير نظام أو حكمة، بل حتى خراب العالم تشمله حكمة الله عَزَّوَجَلَّ؛ لأنّ الله عَزَّوَجَلَّ أتقن كل شيء، فلا تعتقد أنه قد يكون شيء في الكون زائد أو ليس له فائدة أو أنّه غير متقن، ومن هنا نعرف خطأ تسمية بعض الأطباء الزائدة الدودية بهذا الاسم، فليس في خلق الله من زوائد.

9- إثبات كمال العلم لله؛ لأنه خبير بجميع الأمور.

10- علينا أن نتقن جميع أعمالنا، فهذه صفة من صفات المتقين، قال ﷺ: **(إنّ الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه)**[4].

11- الحذر من عقاب الله تعالى بأن نصلح أحوالنا، فنراقبه في السرّ والعلن، فإنّ الله لا يخفى عليه شيء من أفعالنا.

المطلب الثالث: يوم القيامة يُضاعف أجر المحسنين ويُكبّ المسيء على وجهه:

قال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [النمل : 89-90].

---

[1] الزحيلي، التفسير المنير، (ج44/20).

[2] الجزائري، أيسر التفاسير، (ج46/4).

[3] المرجع السابق، (ج48/4).

[4] [الطبراني: المعجم الأوسط، باب الألف/مَن اسمه أحمد، ج275/1: رقم الحديث 897]، وصحَّحه الألباني.

أولاً: المناسبة

بعد أن ذكر الله تعالى شيئًا من مقدمات وأهوال يوم القيامة بيّن بإجمال ما يكون بعد ذلك، من حسابه لهم، لأنه خبير بأفعالهم، فيجازهم عليها.

وفي هذه الآيات فصّل هذا الإجمال بأن جزاءهم على نوعين: لمن أحسن يُجازى جزاء حسناً فيعامله بفضله، ومن أساء فيُجازيه بعدله[1].

ثانياً: معاني المفردات

- **مِنْ فَزَعٍ:** الفزع: الخوف، والمقصود هنا: الخوف الشديد الذي يحصل للخلق، عندما ينفخ في الصور[2].
- **فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ في النَّار:** "أي ألقوا فيها علي وجوههم"[3].

ثالثاً: وجوه البلاغة

1- بين قوله تعالى **(ٱلْحَسَنَةِ)** و **(ٱلسَّيِّئَةِ)** طباق[4].

2- في قوله –تعالى–: ﴿هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ استفهام: لزيادة التوبيخ والتقريع لهم[5].

رابعاً: التفسير الإجمالي

بيّن الله تعالى أن الناس في الجزاء يوم القيامة صنفان؛ منهم من يعامل بفضله؛ وهو من قدّم الحسنات، فيُجازى أعظم الجزاء في الآخرة بالجنة، وقبلها بالأمن من المخاوف، فهم في الحياتين سعداء. والصنف الثاني من يعامله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بعدله؛ وهو من قدّم الكفر والشرك وما يُغضِب الله تعالى، فيُهين اللهُ أكرم موضع في بدنه؛ وهو الوجه، فيُكبُّ على وجهه في النار جزاء عمله[6].

---

(1) انظر: الزحيلي، التفسير المنير، (ج40/20)، وانظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، (ج51/20).

(2) انظر: ابن منظور، لسان العرب، (ج251/8)، وانظر: الطبري، جامع البيان، (ج5079/19).

(3) الجمل، مخطوطة الجمل، (ج19/4).

(4) انظر: الزحيلي، التفسير المنير، (ج39/20).

(5) انظر: طنطاوي، التفسير الوسيط، (ج364/10).

(6) انظر: نخبة من أساتذة التفسير، التفسير الميسر، (ص385)، وانظر: الزحيلي، التفسير المنير، (ج386/2).

خامساً: تحقيق المقاصد والأهداف من الآيات

1- "الناس صنفان يوم القيامة: سعداء وأشقياء، فالسعداء: هم المؤمنون الذين عملوا الأعمال الصالحة، وهؤلاء لهم الثواب الجزيل، والأمن من عذاب الله. والأشقياء: هم الكفار والمشركون والعصاة الذين ارتكبوا في الدنيا السيئات، وهؤلاء يطرحون في النار على وجوههم، ويقال لهم: هل هذا إلا جزاء أعمالكم؟"[1].

2- "تقرير مبدأ الجزاء وهو الحسنة والسيئة، حسنة التوحيد وسيئة الشرك"[2]، وما يتبع كلا منهما من أعمال.

3- التربية لابد فيها من ثواب وعقاب، لأن الإنسان جُبل على أن إخراج ما بداخله يكون من خلال الترغيب بثواب أو الترهيب بعقاب، ولكن بحكمة، حتى يستقيم حاله، والله أعلم.

4- إثبات كمال عدل الله تعالى ﴿هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النمل : 90].

---

[1] الزحيلي، التفسير المنير، (ج45/20).

[2] الجزائري، أيسر التفاسير، (ج48/4).

المبحث الثالث

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الآيات:(91– 93) من سورة النمل

المطلب الأول: الرسول مبلّغ عن الله تعالى

يقول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾﴾ [النمل : 91]

أولاً: المناسبة

بعد أن بيّن رسول الله ﷺ أصول الحق للمشركين ورد على شبههم وفنّدها جميعاً بما لا يدع لعاقل شك، ولما كان منهم تجاوز في محاورته ﷺ، وكأن بيده أمر الساعة أو علم الغيب، ناسب ذلك أن يبيّن لهم في هذه الآية بإيجاز واختصار أنه هو مبلغ عن الله تعالى مأمور مثلهم بعبادته وحده لا شريك له.[1]

ثانياً: المفردات

- **الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا:** أي: مكة، وتحريمها هو: جعلها حرماً آمناً يأمن الناس فيها على دمائهم ويحرّم فيها القتال وسفك الدم والظلم على ما عليه جمهور المفسرين[2].

ثالثاً: وجوه البلاغة

"في قوله تعالى: ﴿وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ﴾: احتراس بديع يؤتى به دفعاً لتوهم يتوجه على الكلام، فقد أضاف سبحانه اسمه إلى مكة تشريفا لها وذكرا لتحريمها، ولمّا أضاف اسمه إلى البلدة والمخصوصة بهذا التشريف أتبع ذلك إضافة كل شيء سواها إلى ملكه، قطعا لتوهم اختصاص ملكه بالبلدة المشار إليها، وتنبيها على أن الاضافة الأولى إنما قصد بها التشريف، لا لأنها ملك الله تعالى خاصة "[3].

رابعاً: التفسير الإجمالي

وممّا أمر الله رسوله ﷺ أن يبلغه ويبينه للناس أنه ليس له من الأمر شيء، إنّما حياته

---

[1] انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، (ج55/20).

[2] انظر: دروزة، التفسير الحديث، (ج305/3).

[3] صافي، الجدول، (ج219/20).

محصورة في إخلاص العبادة لربه؛ ومن ذلك تبليغه الرسالة التي أنعم الله بها عليه. وقد أنعم تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ على الناس جميعاً، ومن إنعامه على أهل مكة خاصة أن حرّم بلدهم مكة؛ فلا يسفك فيها دم حرام، ولا يُظلَم فيها أحد، وغير ذلك من تشريفها على باقي البلاد، فهلّا شكرتم نعم الله تعالى عليكم وعبدتموه، والذي له كل شيء خلقاً وملكاً وتدبيراً؟ ليس لغيره في ذلك مثقال ذرة، فأنا مأمور أن أستسلم لهذا الرب العظيم[1].

خامساً: تحقيق المقاصد والأهداف من الآية

1- "في هذه الآية: ﴿إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ﴾ [النمل: 91] ولم يقُلْ: أُمِرت أن أطيع الله؛ لأن الألوهية تكليف، أمّا الربوبية فعطاء وتربية، فالآية تُبيّن حيثية سماعك للحكم من الله، وهي أنه تعالى يُربّيك بهذه الأوامر وبهذه النواهي، وسوف تعود عليك ثمرة هذه التربية"[2].

2- "أمر النبي ﷺ ومثله أمته في هذه الآيات بأوامر ثلاثة هي:

الأمر الأول: تخصيص الله وحده بالعبادة دون اتخاذ شريك له. ووصف الله نفسه بأمرين:

أحدهما: أنه ربّ هذه البلدة أي مكّة، واختصها من بين سائر البلاد بإضافة اسمه إليها لأنها أحب بلاده إليه وأكرمها عليه، وأشار إليها إشارة تعظيم لها، دالا على أنها موطن نبيه ومهبط وحيه.

والثاني: ﴿وَلَهُۥ كُلُّ شَيْءٍ﴾: خلقاً وملكاً وتصرفاً، فهو خالق لجميع النعم، ومالك جميع من في الكون، ومتصرف بملكه كما يشاء، جَلَّ جَلَالُهُ.

الأمر الثاني: أن يكون من المسلمين: أي المنقادين لأمره، الموحّدين له.

الأمر الثالث: أن يتلو القرآن لنفسه ولغيره"[3].

3- "بيان وتقرير حرمة مكة المكرّمة والحرم"[4].

4- الردّ على المعتزلة والقدرية الذين يقولون: إنّ الإنسان مستقلّ بعمله، فهذا باطل؛ لأن الله

---

[1] انظر: نخبة من أساتذة التفسير، التفسير الميسر، (ص835)، وانظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، (ج611/1).

[2] الشعراوي، تفسير الشعراوي، (ج10863/17).

[3] الزحيلي، التفسير المنير، (ج49/20).

[4] أبوبكر الجزائري، أيسر التفاسير، (ج50/4).

يقول: ﴿وَلَهُۥ كُلُّ شَيۡءٖ﴾ [النمل : 91]، فليس شيء يخرج من ملكه تعالى[1].

5- قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِي حَرَّمَهَا﴾ دليل على أنّ التحريم للأماكن والأشياء إنّما هو من خصائص الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فلا يجوز أن نقول: هذا حرم إلّا إذا ثبت دليل في القرآن أو السنّة على تحريم هذا الشيء.

6- على الداعي إلى الله أن يكون متواضعاً ﴿مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾، أن يكون داعياً بعمله، ﴿إِنَّمَآ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلۡبَلۡدَةِ﴾ قبل دعوته بالقول ﴿وَأَنۡ أَتۡلُوَاْ ٱلۡقُرۡءَانَۖ﴾.

7- على الدّاعي أن يحتاط لكلامه ولا يكون فيه شيء من الإيهام، فقد قال تعالى: ﴿وَلَهُۥ كُلُّ شَيۡءٖ﴾ [النمل : 91] بعد قوله: ﴿رَبَّ هَٰذِهِ ٱلۡبَلۡدَةِ﴾ [النمل : 91]؛ لئلا يتوهّم إنسان أنّ ربوبيته تعالى خاصّة بمكّة فقط.

8- الردّ على الغلاة الذين يستغيثون بالنبي ﷺ، فالله أمره أن يكون من المسلمين، فليس له من أمر الربوبية والألوهية شيء، ولا يملك لنفسه ولا لغيره نفعاً ولا ضراً.

المطلب الثاني: الإنسان مسؤول عن اختياره للأعمال

يقول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَأَنۡ أَتۡلُوَاْ ٱلۡقُرۡءَانَۖ فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ٩٢﴾ [النمل : 92].

أولاً: المناسبة

وهذه الآية أيضاً تبيّن خواتيم جولة دعوية قام بها محمد ﷺ في قومه ومناظرته لهم. فبيّن في هذه الآية نزاهة دعوته وأنه مبلغ عن ربه، فبعد أن أجلى لهم الطريق إلى الله لم يبق إلا أن يتدبروا القرآن الذي يتلوه عليهم، فما هو إلا نذير من رب العالمين[2].

ثانياً: التفسير الإجمالي

يقول ﷺ لقومه ومن يدعوهم إلى الله: فما عملي إلا أن أبلغ رسالة ربي التي كلفني بإيصالها إليكم، فأقرأ عليكم كلامه تعالى؛ فمن اهتدى بكلام الله فثمرة ذلك راجعة إليه في الدنيا والآخرة، ومن أعرض عن الهداية وأصر على الضلال، ولم ينتفع بكلام ذي الجلال، فإني لا

---

[1] انظر: العثيمين، تفسير سورة النمل، (ص524).

[2] انظر: الزحيلي، التفسير المنير، (ج46/20).

أملك أن أهديه وأدخل الإيمان في قلبه، فما عملي إلا النذارة من عذاب الله[1].

ثالثاً: تحقيق المقاصد والأهداف من الآية

1- فضل تلاوة القرآن، قال ﷺ: **(مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لَا أَقُولُ الم حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَلَامٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ)**[2].

2- "أن يتلو القرآن، أي يقرأه لنفسه وعلى الناس لتبليغهم إياه؛ فمن اهتدى في هذه الأصول الثلاث المقررة في هذه السورة وهي التوحيد والحشر والنبوة فله ثواب هدايته، ومنفعة اهتدائه راجعة إليه، ومن ضل أو انحرف عن هذه الأصول، فما على الرسول ﷺ إلا البلاغ المبين، وما هو إلا رسول منذر من جملة المنذرين، أي المخوفين قومهم من العذاب" [3]، فعلى المسلم أن يتلو القرآن فيتدبره فيدعوا إلى ربه بقوله وفعله، ويتوكل في ذلك كله على مولاه.

3- أنّ الهداية تنفع صاحبها، فلا حاجة لله بها، قال تعالى: ﴿إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزمر : 7].

4- أنّ من ضلّ فإنّه حقيقة لا يضر إلا نفسه.

المطلب الثالث: لا يغفل الله عن عباده، وسيُبَيّن لهم آياته

يقول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [النمل : 93]

أولاً: المناسبة

كان من المناسب أن تختتم هذه الجولة الدعوية بما بدأت به، فختمت بحمد الله تعالى كما بدأت بحمد الله تعالى، وهذه هي حياة رسول الله ﷺ أن يدعو إلى الله ويحمده، ولله الأمر في بيان الحق ومحاسبة الخلق.[4]

---

[1] الزحيلي، التفسير المنير، (ج385/1).

[2] [الترمذي: سنن الترمذي، فضائل القرآن/ما جاء فيمن قرأ حرفاً من القرآن ما له، ج175/5، رقم الحديث: 2910]، قال الترمذي: حديث حسن صحيح غريب من هذ الوجه.

[3] الزحيلي، التفسير المنير، (ج49/20).

[4] انظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، (ج2655/5).

ثانياً: القراءات

"قرأ نافع وابن عامر وحفص وأبو جعفر ويعقوب ﴿تَعْمَلُونَ﴾ بالتاء على الخطاب، قرأ الباقون ﴿يعملون﴾ على الغيبة"[1].

العلاقة التفسيرية بين القراءتين

قراءة الخطاب فيها ترغيب أن المؤمنين سيجازون على أعمالهم صغيرها وكبيرها ما تذكروه وما نسوه خير الجزاء، وقراءة الغيبة ترهيب ووعيد وتهديد لمن كفر به أن الله سيحاسبه على كل صغير وكبير حساباً عسيراً، والله أعلم[2].

ثالثاً: التفسير الإجمالي

يأمر الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ رسوله الكريم ﷺ أن يعلن حمده لله تعالى على ما منّ عليه به من شرف الرسالة وأداء الأمانة وإزهاق الباطل ومن أعانه.

وأنّه وإن تظاهر المعاندون المكذبون لك يا رسول الله بأنهم لم يظهر لهم الحق من كلامك، فقد تكفل الله بإظهار الحق ظهوراً فوق ظهور دهوراً بعد دهور، وأن ربك تعالى لا يغفل عن شيء ظاهر أم باطن، وسوف يُحاس كل على عمله[3].

رابعاً: تحقيق المقاصد والأهداف من الآية

1- الله تعالى سيري خلقه آياته في أنفسهم وفي غيرهم، فيعرفون بها دلائل قدرته ووحدانيته في أنفسهم وفي السموات وفي الأرض، فلن يكون لأحد على الله حجة.

2- الله شهيد على كل شيء، وليس هو بغافل عما يعمله الخلائق أجمعون، فيجازي كل فرد على عمله، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر[4].

3- إذاً فاحذر فإن الله مطلع عليك، فإذا هممت بنية أو قول أو فعل فتذكر أن الله بجلاله وعظمته رقيب على ظاهرك وباطنك.

4- "الندب إلى حمد الله تعالى على نعمة الظاهرة والباطنة ولا سيما عند تجدد النعمة وعند

---

[1] ابن الجزري، النشر، (ج263/2).

[2] انظر: أبو شعبان، تفسير القرآن بالقراءات العشر، (ج 174/8).

[3] انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، (ج611/1)، والجزائري، أيسر التفاسير، (ج49/4).

[4] انظر: الزحيلي، التفسير المنير، (ج49/20).

ذكرها، وعند إتمام ما أمرنا الله به.

5- بيان معجزة القرآن الكريم إذ ما وعد به المشركون من الآيات أنّهم سيرونها قد رأوه فعلاً وهو غيب، فظهر كما أخبر"[1]، ومن هذه الآيات انشقاق القمر، كما في صحيح البخاري[2]، وما حصل من القتل والسبي والهزيمة للمشركين يوم بدر، وإعلاء كلمة الله على يد رسوله محمد ﷺ في ذلك اليوم[3]، ولو كان ما جاء به الرسول ليس بحق – وحاشاه – لم ينصره الله ويؤيده، فظهر الحق وظهرت بعض الآيات، والله غالب على أمره.

---

[1] انظر: الجزائري، أيسر التفاسير، (ج50/4).

[2] انظر: [البخاري: صحيح البخاري، تفسير القرآن/﴿وانشق القمر وإن يروا آية يعرضوا﴾، ج142/6، رقم الحديث: 4867].

[3] انظر: محمد بن عبد الوهاب، مختصر سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، (ص151–160).

الفصل الثاني

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الآيات من (1–50) من سورة القصص (قصة موسى عليه السلام)

قسّم الباحث هذا الفصل إلى ثلاثة مباحث

جاء في المبحث الأول أن الآيات تحدّثت عن أحوال المستضعفين من المؤمنين عند بعض الظالمين، والبشارة لهؤلاء المؤمنين بعاقبة التمكين ولو بعد حين.

ثمّ تلتها الآيات التي ذكر فيها حفظ الله للمؤمنين، خصوصاً لموسى الكليم منذ طفولته؛ فرُبِّي في بيت عدوه فرعون ليكون لهم عدواً وحزَناً.

ثمّ تلتها الآيات التي بيّنت ثمرة هذه العناية بموسى عليه السلام في طفولته، فأصبح شابّاً حكيماً متّزناً، وقد تآمر عليه فرعون وملؤه، فأنجاه الله منهم، وتوجّه إلى مدين.

أما المبحث الثاني فكان الحديث عن حال موسى في آل مدين، وإحسانه إليهم، وأدبه معهم، وقد تزوّج فيهم.

ثم خُتِم هذا المبحث بأن أكرم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ موسى عليه السلام بالرسالة.

وامّا المبحث الثالث فقد تضمّن دعوة موسى لفرعون، وقد استعان موسى بأخيه هارون، فاستجاب الله له، وقد تمّت المواجهة بين موسى وهارون عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ مُؤَيَّدَيْن بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وبين فرعون ومن معه من الملأ، فلم يستجب فرعون وملؤه، واستكبروا في الأرض بغير الحق، فأغرقهم الله وأنجى موسى ومن معه من المؤمنين.

ثمّ خُتِم هذا الفصل بدعوة النبي ﷺ لقومه، حيث ظهر لهم بالأدلّة القاطعة أنّ هذا القرآن منزّل من رب العالمين وأنّ رسوله محمد ﷺ على الحق المبين، حيث لا تتأتى هذه القصص القديمة بهذا التفصيل إلا من لدن رب العالمين.

المبحث الأول

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الآيات من (1–21) من سورة القصص

المطلب الأول: حفظ الله للمؤمنين وتمكينهم ولو بعد حين

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿طسٓمٓ ۝١ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢ نَتۡلُواْ عَلَيۡكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرۡعَوۡنَ بِٱلۡحَقِّ لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ۝٣ إِنَّ فِرۡعَوۡنَ عَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَجَعَلَ أَهۡلَهَا شِيَعٗا يَسۡتَضۡعِفُ طَآئِفَةٗ مِّنۡهُمۡ يُذَبِّحُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَيَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ۝٤ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنَجۡعَلَهُمۡ أَئِمَّةٗ وَنَجۡعَلَهُمُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ۝٥ وَنُمَكِّنَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنُرِيَ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنۡهُم مَّا كَانُواْ يَحۡذَرُونَ ۝٦﴾ [القصص : 1–6].

أولاً: المناسبة

ولمّا كان إعراض قريش عن دعوة محمد صلى الله عليه وسلم وضاق الأمر بالمسلمين في مكة ناسب أن يُبشروا بالتمكين بعد هذا الإعراض من المشركين كما نجّا موسى عليه السلام ومن معه من المؤمنين ومكّنهم بعد إعراض فرعون عن قَبول الحق[1].

ولعلّه أيضاً لما ذُكرت قصة موسى عليه السلام مختصرة في السورة السابقة ودَّ المسلمون أن تُفصّل لهم قصة موسى عليه السلام مع فرعون، فكان المقصودُ انتفاعهم بما في تفاصيلها[2].

يقول الباحث: ذكر تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في آخر سورة النمل السابقة أنه تعالى أمر رسوله ﷺ أن يتلو القرآن، وقال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا﴾ فهذه السورة نزلت بعد سورة النمل وهي من تلاوة القرآن وفيها آيات بينات دالة على عظم الله وصدق رسوله وإعجاز كتابه، لذا بُدئت بالحروف المقطعة.

ثانياً: معاني المفردات

– **نَبَأ:** النّبأ: هو الخبر الصادق ذا الأهمية العظيمة[3].

---

[1] انظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، (ج2676/5).

[2] انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، (ج63/20).

[3] انظر: الزبيدي، تاج العروس، (ج443/1).

- **فِرْعَوْنَ عَلَا:** عَلا فلانٌ فِي الأَرض إِذَا اسْتَكْبَرَ وطَغَى[1].
- **وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعاً:** شيعاً: فِرَقًا وأَصْنافًا، لِيَخْدِمُوه في جميع ما يُرِيْد[2].
- **يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ:** "ذُكر أن استضعافه إيّاهم كان استعباده"[3].
- **يَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ:** "أَي يسْتَبْقيهن للخدمة فلا يقتلهن"[4].
- **أَنْ نَمُنَّ:** "أن نتفضل عليهم وننعم"[5].
- **وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً:** " أي: نجعلهم ولاة يُؤتَمُّ بِهِمْ"[6].
- **وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ:** " أي: يرثون فرعون وملكه"[7].
- **وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ:** "أي نجعل لهم السلطة وإنفاذ الأمر وإطلاق الأيدي في أرض مصر والشام"[8].

ثالثاً: القراءات

قرأ حمزة والكسائي وخلف **(ويَرَى)** بالياء وفتحها وإمالة فتحة الراء بعدها ورفع الأسماء الثلاثة بعدها **(فرعون وهامان وجنودهما)**، وقرأ الباقون بالنون **(وَنُرِيَ)** وضمِها وكسر الراء وفتح الياء ونصب الأسماء الثلاثة بعدها[9].

العلاقة التفسيرية بين القراءتين: "القراءة الأولى: أنّ فرعون ومن معه سوف يرون ما كانوا يخافون رؤيته من هلاكهم وخراب ملكهم، القراءة الثانية: فيها نون التعظيم للمتكلم وهو الله.

فيكون معنى القراءتين: أن الله تعالى سوف يُري فرعون وهامان وجنودهما بقدرته

---

(1) انظر: ابن منظور، لسان العرب، (ج85/15).
(2) انظر: ابن قتيبة، غريب القرآن، (ج328/1).
(3) الطبري، جامع البيان، (ج516/19).
(4) ابن منظور، لسان العرب، (ج211/14).
(5) الأبياري، الموسوعة القرآنية، (ج476/10).
(6) الزجاج، معاني القرآن، (ج132/4).
(7) المرجع السابق.
(8) الزحيلي، التفسير المنير، (ج58/20).
(9) انظر: ابن الجزري، النشر، (ج255/1).

وعظمته وجبروته ما كانوا يخافونه ويدفعون حصوله، من عذاب الله تعالى لهم"[1].

رابعاً: البلاغة

1- في قوله تعالى: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾ الإشارة بالبعيد عن القريب؛ لبعد مرتبة القرآن في الكمال[2].

2- في قوله تعالى: "﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾، مع أن كلمة **(نُرِيدُ)** معطوفة على **(عَلَا)** في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾، فالأصل أن تكون المعطوف وهو **(نُرِيدُ)** ماضياً مثل المعطوف عليه، لكن استُخدم زمن المضارع، لكي يستحضر قارئ القرآن الصورة[3].

خامساً: التفسير الإجمالي

ابتدأ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ هذه السورة بالحروف المقطّعة، كما ابتدأت بها عدة سور في القرآن الكريم، وإليكم خلاصة القول في هذه الحروف المقطعة:

اختلف العلماء فيها، وفي الحكمة منها على أقوال كثيرة، يمكن حصرها في أربعة أقوال:

الأول: أن لها معنىً، ولكن اختلفوا في تعيين هذا المعنى فمنهم من قال هو اسم لله عَزَّوَجَلَّ ومنهم من قال هو اسم للسورة ...ونحو ذلك من الأقوال.

الثاني: هي حروف هجائية ليس لها معنىً إطلاقاً.

الثالث: لها معنىً الله أعلم به.

الرابع: التوقف، نتلوها فقط، ونقول الله أعلم: ألها معنىً، أم لا، وإذا كان لها معنىً فلا ندري ما هو.

يُرجّح الشيخ العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ القول الثاني، كما أنّ الباحث يميل إلى هذا الترجيح؛ لأنّ القرآن نزل بلغة العرب وهذه الحروف ليس لها معنىً في لغة العرب.

---

[1] أبو شعبان، تفسير القرآن بالقراءات القرآنية العشر، (ج9/23-24).

[2] انظر: الصابوني، صفوة التفاسير، (ج2/393).

[3] انظر: الزحيلي، التفسير المنير، (ج20/55).

أمّا كونه تعالى اختار هذه الحرف دون غيرها، ورتّبها هذا الترتيب فهذا لا علم لنا به، الله أعلم به.

أمّا بالنسبة للحكمة منها فهو الإشارة إلى بيان إعجاز القرآن العظيم، وأنّ هذا القرآن يتركب من كلمات وحروف من جنس ما يتكلم به البشر (العرب) ومع ذلك فقد أعجزهم أن يأتوا بمثله[1].

في مطلع هذه السورة يُبيّن تَبَارَكَ‌وَتَعَالَىٰ عِظَم القرآن وآياته الدالة على توحيده، المبيّنة لكل شيء يحتاجه الإنسان من خيري الدنيا والآخرة؛ ومن بيان القرآن ودلالته على الحق ما يتلوه علينا من قصص السابقين.

فها هو يتلو خبر موسى وفرعون وما فيه من المواعظ والعبر التي ينتفع بها المؤمنون. فهذا فرعون قد تكبر في الأرض بغير الحق، وتجبّر، وظلم أهلها، فجعلهم فرقاً كما يشاء، يتصرّف فيهم حسب شهوته، يستضعف طائفة منهم؛ وهم بنو إسرائيل الذين فضّلهم الله على العالمين، فبدل أن يكرمهم عذّبهم وأبدع في عذابهم؛ فيذّبح الذكران خوفاً وحذراً منه على ملكه، ويستبقي النساء والإناث ليخدموه وحاشيته. وما كان هذا من فرعون إلا لأنه اعتاد الفساد.

ولكنّ الله تَبَارَكَ‌وَتَعَالَىٰ لا يترك عباده المؤمنين. العاقبة لهم ولو بعد حين. فبشّر الله تَبَارَكَ‌وَتَعَالَىٰ هذه الطائفة المستضعفة في الأرض أنه سيجعلهم أئمة في الخير والدعوة إليه، وسَيُسْتخلفون في هذه الأرض، ويمكنّون فيها، ويعلم فرعون وهامان وجنودهما عاقبة الظالمين بحصول ما كانوا يحذرون من إزالة ملكهم وهلاكهم على يد من كانوا يحذرون منهم، ولكن لا ينفع حذر مع قدر.

سادساً: تحقيق المقاصد والأهداف من الآيات

1- "والحق تَبَارَكَ‌وَتَعَالَىٰ حين يقصُّ علينا يقصُّ الواقع، فقَصص القرآن لا يعرف الخيال كقصص البشر؛ لذلك يسميه القصص الحق، وأحسن القصص، لأنه يروي الواقع طِبْق الأصل"[2]، فهذا من ميّزات الأسلوب القصصي القائم على الواقعية.
2- ينبغي علينا أن نقتدي بالقرآن الكريم، وألّا نقص إلا الحق، ونترك الخرافات والخيالات، وأن ننتقي من القصص، أحسنها فائدة، ومناسبة للزمان والمكان والحال، لأن قص القصص أسلوب تربوي، راقي وناجع للكبار والصغار.

---

[1] انظر: العثيمين، تفسير القرآن العظيم، (ج1/22،23).

[2] الشعراوي، تفسير الشعراوي، (ج10871/17).

3- الحق تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ حينما يغَارُ على الذين استُضعِفوا لا يرفع عنهم الظلم فحسب، بل قال: ﴿وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً﴾ أئمة في الدين وفي القيم، وأئمة في سياسة الأمور والملك ﴿وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ أي: يرثون مَنْ ظلمهم، ويكونون سادةً عليهم وأئمةً لهم، فانظر على كم مرحلة تأتي غيرة الله لأهل الحق.

4- إنّ التمكين والاستخلاف يأتي من غير ثورات، بل هو منّة من الله تعالى، فَمَن اتقى الله تعالى منَّ الله عليه، فهذا كتاب الله يذكر لنا كثيراً من قصص الأنبياء الذين لم تستجب لهم أقوامهم، هل أرشد الله من نبي أن ثوروا على الظلمة؟ لا بل أُمِروا بالصبر والتقوى، فأتت منّة الله لهم بالتمكين والاستخلاف، فعدلوا وضمّوا رَعِيّتَهم في رعايتهم، قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ [النور : 55].

5- المؤمن الصادق هو من ينتفع بالقرآن، فـ"القرآن العظيم أبان الحق من الباطل، والحلال من الحرام، وقصص الأنبياء، ونبوة محمد ﷺ، ولا ينتفع من هديه إلّا القوم المُصدّقون به، الذين يعلمون أنه من عند الله"[1]، لذلك على المؤمنين أن ينتفعوا بهذا القرآن بالفهم والتطبيق.

6- إنّ تفريق الأمة سبب لفشلها، فالمسلمون يجب عليهم التوحّد والاجتماع، فها هو النبي ﷺ لمّا تعصّب رجل من المهاجرين للمهاجرين ورجل من الأنصار للأنصار، وصف النبي ﷺ هذا الفعل أنّه من صفات الجاهلية، وأنّها مُنتنة[2]، مع أنّ هذه الأسماء (المهاجرين والأنصار) أسماء شرعية وردت في الكتاب والسنّة النبوية، لكن لمّا كادت أن تؤدي إلى التفرّق أنكرها وحذّر منها.

7- مِن أُسُس الفساد الكِبْر والفخر بالكثرة والنّسب، لذا "يجب اجتناب الاستعلاء في الأرض، والتعزّز بكثرة الأتباع، وهما من سيرة فرعون وقارون. وكانت قصتهما حجة على مشركي قريش وأمثالهم، فكما أن قرابة قارون من موسى لم تنفعه مع كفره، فكذلك قرابة قريش لمحمد صلّى الله عليه وسلم"[3].

---

[1] الزحيلي، التفسير المنير، (ج59/20).

[2] [البخاري: صحيح البخاري، تفسير القرآن/قوله: ﴿سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم﴾، ج154/6: رقم الحديث 4905].

[3] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (ج248/13).

8- "كان علو فرعون وتجبره من كُفْرِه، وكانت ممارسات ظلمه وعتوه كثيرة متنوعة، فكان يستذل طائفة من بني إسرائيل، يذبح أطفالهم الذكور، ويترك الإناث أحياء، إهانة لهم واحتقاراً، وكان من البغاة المفسدين في أرض دولته. والظلم والكبرياء سبيل الدمار والهلاك، فأهلكه الله، ونجّى بني إسرائيل من العسف والطغيان"[1]، فالكِبْر واحتقار الآخرين سبب لظلمهم، والظلم والكبر سبب الهلاك، قال ﷺ: **(بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ)**[2]، وقال ﷺ: **(لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ)**[3].

9- إنّ من اُسْتُضْعِفَ لقيامه بالحق لا بدّ أن يُمَكِّنَه الله تعالى، وهنا قد لا يكون التمكين لنفس الأشخاص وذواتهم، ولكنّ التمكين للحق الذي استضعِفوا من أجله، فقد يُظلَم جيل ويُستضعَف لقيامه بالحق، ولا يُمَكَّن نفس هذا الجيل، بل يُمَكَّن الجيل الذي بعده الذي سار على طريقته، المُهِمّ أن الحق لا بد أن تكون العاقبة له.

فإن لم يُمَكَّن من ظُنَّ أنّهم على الحق، فإمّا أن يكونوا على الحق ولكن تأخّر التمكين لحكمة أرادها الله، أو أن يُمَكَّن من بعدهم كما ذكرنا، وإمّا أن يكون هؤلاء ظنّوا أنّهم على الحق، ولكنّهم في الحقيقة أخطؤوا الطريق، فكم ممّن حَسُنت نيّته ولكن لم يكن فعله صواباً، فلا يُنصَر ولا يُمكّن[4]، فقد قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (وكم من مريد للخير لن يصيبه)[5].

10-تقرير إعجاز القرآن الذي هو آية أنّه كتاب الله حقاً، بما قصّه من القصص الحق ومنها هذه القصّة العظيمة: قصة موسى عليه السلام وفرعون.

11-تقرير النبوة المحمدية بهذا الوحي الإلهي؛ لأنّ مثل هذه القصص لا تكون إلّا وحياً لنبي.

12-تقرير قاعدة لا حذر مع القدر، فقد أرى الله عَزَّوَجَلَّ فرعون وحاشيته، ما كانوا يحذرون.

13-تحريم تحديد النسل بإلزام المواطن بأن لا يزيد على عدد معين من الأطفال[6].

---

[1] الزحيلي، التفسير المنير، (ج59/20).

[2] [مسلم: صحيح مسلم، البر والصلة والآداب/تحريم ظلم المسلم وخذله، ج1986/4: رقم الحديث 2564].

[3] [المرجع السابق، الإيمان/تحريم الكبر وبيانه، ج93/1: رقم الحديث 147].

[4] انظر: العثيمين، تفسير سورة القصص، (ص18-19).

[5] [الدارمي: سنن الدارمي، العلم/في كراهية أخذ الرأي، ص142: رقم الحديث 222]، وصحَّحه الألباني، وهو موقوف.

[6] انظر: الجزائري، أيسر التفاسير، (ج53/4).

المطلب الثاني: عناية الله لموسى في طفولته

قال تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٧ فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ ۝٨ وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝٩ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝١٠ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ۖ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝١١ ۞ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ۝١٢ فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝١٣﴾ [القصص : 7-13].

أولاً: المناسبة

"بعد بيان منة الله تعالى على بني إسرائيل بإنقاذهم من بأس فرعون في قوله تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟﴾ ابتدأ تعالى بذكر أوائل نعمه عليهم ومنَّته، فقال: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ﴾"[1].

ثانياً: معاني المفردات

- **وَأَوْحَيْنَا إلى أم موسى أن أرضعيه:** أصل الوحي: الإعلام في خفاء، ومنه الإلهام. والمقصود هنا: أن الله ألهم أم موسى- وليس وحي نبوة-[2].
- **قُرَّتُ عَيْنٍ:** "أي مصدر فرح وسرور"[3].
- **وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا:** أَيْ: ليس في قلبها شَيْءٌ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا إِلَّا أمرَ مُوسَى. [4]
- **إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ:** "إن كادت لتظهَر أنه ابنُهَا"[5].

---

[1] الزحيلي، التفسير المنير، (ج63/20).

[2] انظر: الأبياري، الموسوعة القرآنية، (ج584/8)، وانظر: ابن منظور، لسان العرب، وانظر: الطبري، جامع البيان، (ج519/19).

[3] الزحيلي، التفسير المنير، (ج62/20).

[4] انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (ج201/6).

[5] الزجاج، معاني القرآن، (ج134/4).

- **رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا:** صبَّرها الله وقوى قلبَها [1].

- **قُصِّيهِ:** القص الاتباع، أي: ابحثي عن موسى وتتبَّعي خبره[2].

- **فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ:** أي: سما بَصَرُها إِلَى شَيْءٍ بَعِيدٍ وَهُوَ إِلَى جَنْبِهِا وَهُم لَا يَشْعُرُون بِرؤيتها له[3].

- **يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ:** أي: يضمنون لكم إرضاعه[4]، والقيام بتربيته[5].

- **وهم له ناصحون:** "أي: مشفقون عليه لا يقصِّرون في إرضاعه وتربيته"[6].

ثالثاً: البلاغة

1- في قوله تعالى ﴿وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي﴾، "هذا قسم نادر من أجمل أقسام الاطناب، وهو أن يذكر الشيء فيؤتى به بمعان متداخلة، إلّا أن كل معنى مختص بخصيصة ليست للآخر، فالخوف غم يلحق الإنسان لمتوقّع، والحزن غمّ يلحقه لواقع، وهو فراقه والأخطار المحدقة به، فنهيت عنها جميعا، وآمنت بالوحي إليها، ووعدت بما يسليها ويطمئن قلبها، ويملؤه غبطة وسروراً"[7].

2- في قوله تعالى: ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ﴾، "التحريم: استعارة للمنع، لأنّ من حرم عليه الشيء فقد منعه"[8]، (ويرى الباحث أنّ في هذه الاستعارة مبالغة، في أنّه عليه السلام لن يرضع من غير أمه).

3- في قوله تعالى: ﴿لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا﴾، شبّه ما قذف الله في قلبها من الصبر بربط الشيء المنفلت خشية الضياع واستعار لفظ الربط للصبر.

4- في قوله تعالى:﴿لَا تَقْتُلُوهُ﴾،صيغة تعظيم، تخاطب فرعون ولم تقل لا تقتله تعظيماً له.

---

[1] انظر: الزبيدي، تاج العروس، (ج302/19).

[2] انظر: ابن منظور، لسان العرب، (ج74/7)، وانظر: دروزة، التفسير الحديث، (ج310/3).

[3] انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (ج252/5).

[4] انظر: الشوكاني، فتح القدير، (ج161/4).

[5] انظر: الآلوسي، روح المعاني، (ج260/10).

[6] الشوكاني، فتح القدير، (ج161/4).

[7] صافي، الجدول، (ج229/20).

[8] المرجع السابق.

5- إيثار الجملة الإسمية على الفعلية في قوله تعالى: ﴿إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾، ولم يقل سنرده ونجعله رسولاً وذلك للاعتناء بالبشارة لأن الجملة الاسمية تفيد الثبوت والاستمرار.

6- في قوله تعالى: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾، ﴿وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ﴾، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾، توافق فواصل، وهو من المُحَسّنات البديعية[1]، الذي يزيد الكلام جمالاً وبياناً.

رابعاً: التفسير الإجمالي

كان فرعون ومن معه يحذرون زوال ملكهم وتمكين بني إسرائيل، فأتاهم ما يحذرون من غير ما يشعرون، فأوجد الله موسى عليه السلام في بني إسرائيل، فألهم الله أمّ موسى أن ترضعه مطمئنة، فإن خافت عليه من قتل فرعون فعليها أن تلقيه في البحر مطمئنة أن الله سيرده إليها سالماً، ثم يجعله رسولاً كريماً.

فحصل ما خافت أن عثر عليه جنود فرعون، فأخذوه بأيديهم وحملوه. وقد جعله الله تَبَارَكَوَتَعَالَى عدواً لهم في دينهم تعاسةً لهم في دنياهم فيغرقهم ويهلكهم ويزيل ملكهم. وما كان هذا الجزاء لهم إلا لأن فرعون وهامان وجنودهما كانوا لا يبالون في طغيانهم وظلمهم ومخالفة أمر ربهم.

فلمّا جيء بموسى عليه السلام إلى قصر فرعون قالت امرأة فرعون: لا تقتلوه لعله يكون مصدر سرور وفرح لنا أو نتخذه ولداً يعيننا، فقبل فرعون ذلك وهو لا يشعر أن هلاكه على يد هذا الطفل.

فلمّا علمت أم موسى عثور فرعون على ابنها ضاق بها الأمر، ولم تعد تفكّر ولا يهُمُّها شيء إلا همّها على ابنها حتى كادت أن تصيح وتقول: هو ابني، ولكنّ الله ثبتها على يقينها وعلى إيمانها بأنّ وعد الله حق وأنّه سَيُرَدُّ إليها. فلمّا هدأت أخذت بما لديها من أسباب، فبعثت أخت موسى لترقب خبره، فذهبت أخت موسى تبحث عنه، فرأته وهم لا يشعرون أنها أخته

---

[1] انظر: الصابوني، صفوة التفاسير، (ج393/2).

ترقب خبره، فأخذت حاشية فرعون يجيئون بالمراضع ليرضعوا هذا الطفل حتى لا يهلك، فلم يقبل هذا الطفل منهنَّ مُرضِعة، فقالت أخته لهم: هل لكم في أهل بيت يكفلون رضاعته ويرعونه لكم أتمّ الرِّعاية؟ فوافقوا على ذلك، فردّه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ إلى أمّه كي تطمأن وتزداد طمأنينتها، فترضعه من غيرِ خوفٍ ولا ريبٍ، بل وربّما تأخذ على ذلك أجراً، ولتعلم أنّ وعد الله نافذ ولكنّ أكثر الناس يشركون به ويرتابون في وعده[1].

خامساً: تحقيق المقاصد والأهداف من الآيات

1- لمّا قالت امرأة فرعون: **(قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي)**، وقد هداها الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فكان كما قالت، فالبلاء موكل بالمنطق، فعلينا أن نحذر من ألسنتنا فلا ننطق إلا خيراً، كما قال ﷺ: **(من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت)**[2].

2- الإيمان هو الأساس؛ قال تعالى: "﴿لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [القصص: 10] لأنّ الإيمان هو الذي يجلب لك النفع، ويدفع عنك الضر– بإذن الله تعالى – الذي قد يكون فيه شهوة عاجلة لك؛ فمنعها إيمانُها من شهوة الأمومة في هذا الموقف، ومن ممارسة العطف والحنان الطبيعيين في الأم؛ لأنّ هذه شهوة عاجلة يتبعها ضرر كبير، فإنْ أحسُّوا أنه ولدها قتلوه"[3].

3- قد يأتي الخير من جهة الشر وقد يأتي الشر من جهة الخير. " قد يقصد الإنسان شيئا ويحدث شيء آخر، فإن أهل فرعون التقطوا موسى وهو صغير ليكون لهم قرّة عين، فكان عاقبة ذلك أن كان لهم عدوا وحزنا"[4]. يقول الباحث: وهذه أم موسى تلقي ولدها في البحر، وذلك من أعظم أسباب نجاته، قال تعالى: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾﴾[البقرة : 216]، اتَّبع النقل وإنْ تَعجَّب منه العقل، وتوكّل على الله وكن واثقاً بهن واعلم بأن الله على كل شيء قدير.

---

[1] انظر: الصابوني، صفوة التفاسير، (ج2/391، 392).

[2] [البخاري: صحيح البخاري، الأدب/من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، ج8/11، رقم الحديث 6018]، و[مسلم: صحيح مسلم، الإيمان/الحثّ على إكرام الجار والضيف، ج1/68: رقم الحديث 74].

[3] الشعراوي، تفسير الشعراوي، (ج17/10892).

[4] الزحيلي، التفسير المنير، (ج20/ 68).

4- "لا يشعر الناس بتدبير الله، وقد تكرر ذلك المعنى في الآيات فقال تعالى: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أي وهم لا يشعرون أن هلاكهم بسببه، ثم كرر تعالى ذلك في الآية [11] ثم قال: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾"، هذا قد تحدث لنا كثير من النعم، وتُدفع عنَّا كثيرٌ من النقم، بقدرة الله من غير أن نشعر، ومن غير أن نعلم.

5- وُرود الوساوس التي لا ترضي الله عَزَّوَجَلَّ للعبد، ليست دليل على كره الله تعالى له، فقد: "هجمت الوساوس والمخاوف والهواجس على قلب أم موسى، وطار عقلها لوقوع ابنها في يد فرعون عدو الإسرائيليين، وقاربت أن تظهر أمره لولا أن ثبّتها الله وصبّرها وملأ قلبها بالإيمان والاطمئنان والسكينة، لتكون من المصدقين بوعد الله حين قال لها: ﴿إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ﴾"[1].

6- تكفُّل الله بالنتائج ووعده بالخيرات، أو بدفع المضرات، لا تجعل المسلم يركن إليها ويترك الأخذ بالأسباب، فهذه أم موسى ترسل ابنتها "أخت موسى الذكية الحصيفة فكان لها دور طيب ناجح في إقناع حاشية فرعون وامرأته بمن يقبل ثديها من النساء[2].

7- يحفظ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عباده الصالحي، وتجلّى ذلك في الوحي إلى أم موسى بإرضاعه وإلقائه في البحر، والتقاط آل فرعون له ليتربّى في بيت الملك عزيزاً مكرماً، وكذلك ربط الله على قلب أم موسى فصبرت ولم تبدِ لهم وتقول هو ولدي ليمضي وعد الله تعالى كما أخبرها، فحُفظت هي وابنها، والحمد لله رب العالمين[3]، قال ﷺ: **(احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ)**[4].

8- بيان سوء الخطيئة وآثارها السيئة وعواقبها المدمّرة وتجلّى ذلك فيما حلّ بفرعون وهامان وجنودهما، قال ﷺ: **(إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يُمْلِي لِلظَّالِمِ، فَإِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ، ثُمَّ قَرَأَ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ، إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ)**[5].

---

[1] الزحيلي، التفسير المنير، (ج20/ 68).

[2] انظر: الزحيلي، التفسير المنير، (ج20/ 68).

[3] انظر: الجزائري، أيسر التفاسير، (ج56/4).

[4] [الترمذي: سنن الترمذي، صفة القيامة والرقائق والورع، ج667/4: رقم الحديث 2516]، وصحَّحه الألباني.

[5] [مسلم: صحيح مسلم، البر والصلة والآداب/تحريم الظلم، ج1997/4: رقم الحديث 2583].

9- بيان عِظَم عاطفة الأمومة حيث أصبح فؤاد أم موسى فارغاً إلّا من موسى [1].

10-تقرير أنّ وعد الله حق، وأنّه تعالى لا يخلف الوعد ولا الميعاد، فقد منع موسى من سائر المرضعات حتى يرده إلى أمّه[2].

المطلب الثالث: عناية الله لموسى في شبابه

قال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسۡتَوَىٰٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٤ وَدَخَلَ ٱلۡمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفۡلَةٖ مِّنۡ أَهۡلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيۡنِ يَقۡتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنۡ عَدُوِّهِۦۖ فَٱسۡتَغَٰثَهُ ٱلَّذِي مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِي مِنۡ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيۡهِۖ قَالَ هَٰذَا مِنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّهُۥ عَدُوّٞ مُّضِلّٞ مُّبِينٞ ١٥ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي فَٱغۡفِرۡ لِي فَغَفَرَ لَهُۥٓۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ١٦ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ فَلَنۡ أَكُونَ ظَهِيرٗا لِّلۡمُجۡرِمِينَ ١٧ فَأَصۡبَحَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ خَآئِفٗا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِي ٱسۡتَنصَرَهُۥ بِٱلۡأَمۡسِ يَسۡتَصۡرِخُهُۥۚ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِيّٞ مُّبِينٞ ١٨ فَلَمَّآ أَنۡ أَرَادَ أَن يَبۡطِشَ بِٱلَّذِي هُوَ عَدُوّٞ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقۡتُلَنِي كَمَا قَتَلۡتَ نَفۡسَۢا بِٱلۡأَمۡسِۖ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡمُصۡلِحِينَ ١٩ وَجَآءَ رَجُلٞ مِّنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ يَسۡعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلۡمَلَأَ يَأۡتَمِرُونَ بِكَ لِيَقۡتُلُوكَ فَٱخۡرُجۡ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ٢٠ فَخَرَجَ مِنۡهَا خَآئِفٗا يَتَرَقَّبُۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٢١﴾ [القصص : 14-21].

أولاً: المناسبة

لمّا بيّن سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ منّته على بني اسرائيل بأن حفظ موسى عليه السلام من قتل فرعون، بل ورده الله تعالى إلى أمه لترضعه آمنةً مطمئنةً، بل وقد تنعم في ملك عدوهم فرعون، في طفولته وأول شبابه، ثم تكاملت قواه وبلغ أشده واستوى جزاه الله وأنعم عليه بالحكمة والعلم.

ولم يُذكر ما بين الرضاعة وبلوغ الأشد، ولكن ذكر الله أن موسى عليه السلام أحيط بعناية الله ورعايته، ثم جاء ذكر الله لفقرة من حياة موسى عندما بلغ الأشد لبيان ثمرة رعايته تعالى لموسى عليه السلام في هذه الأعوام السابقة، فما سبق ذكرٌ للأساس وهي رعاية الله له وحفظه، ثم في

---

[1] انظر: الجزائري، أيسر التفاسير، (ج56/4).

[2] انظر: المرجع السابق، (ج59/4).

ذكر حال موسى في أشده بيان لعظم ثمرة هذه الرعاية، والله أعلم[1].

ثانياً: معاني المفردات

- **بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى:** إنّ بلوغ الأشدّ عبارة عن بلوغ القدر الذي يتقوّى فيه بدنه وقواه الجسمانية وينتهي فيه نموه المعتد به والاستواء اعتدال عقله وكماله ولا ينبغي تعيين وقت لذلك في حق موسى ﷺ إلا بخبر يعوَّل عليه لِما سمعتَ مِنْ أنَّ ذاك مما يختلف باختلاف الأقاليم والأعصار والأحوال، وإن كان قد اشْتُهِرَ أنّ ذلك في الأغلب يكون في سن أربعين[2].

- **آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْماً:** "يعني بالحُكم: الحِكْمَة، والعلم: الفقه في الدين والمعرفة بالله[3].

- **عَلى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِها:** الغفلة: عكس اليقظة، وتعني قلة حركة من الناس، وهذا إما في وقت القيلولة، أو بين العشاءين[4].

- **فَاسْتَغَاثَهُ:** "استنصره واستعان به"[5].

- **الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ:** أي: الذي هو على دين موسى من بني اسرائيل [6].

- **فَوَكَزَهُ:** ضربه في صدره أو جنبه بجمع كفه[7].

- **ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ:** " الظهير: المعين"[8]، والمقصود هنا: لن أعين مجرمًا على جرمه، بعد أن تُبْت عليّ ياربِّ.

- **يَسْتَصْرِخُهُ:** "استغاث به"[9].

- **جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ:** الجبّار هو الذي لا يتواضع لأمر الله، وكلُّ قاتلٍ بغير حق جبار[10].

---

(1) انظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، (ج2618/5).

(2) انظر: الآلوسي، روح المعاني، (ج261/10)، وانظر: الطبري، جامع البيان، (23/15).

(3) انظر: ابن عاشور التونسي، التحرير والتنوير،(ج87/20)، وانظر:الزحيلي، التحرير والتنوير،(ج72/20).

(4) انظر: الأبياري، الموسوعة القرآنية، (ج407/8)، وانظر: الزحيلي، التحرير والتنوير.

(5) إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، (ج665/2).

(6) انظر: الطبري، جامع البيان، (ج538/19).

(7) انظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، (ج139/6)، وانظر: الثعلبي، فقه اللغة، (ج142/1)

(8) الرازي مختار الصحاح، (ج197/1)

(9) ابن منظور، لسان العرب، (ج33/3).

(10) انظر: الزجاج، معاني القرآن، (ج137/4)

والجبار "هو الذي يفعل ما يريد من الضرب والقتل ولا ينظر في العواقب ولا يدفع بالتي هي أحسن"[1].

- **مِنَ الْمُصْلِحِينَ:** من أصلَحَ: وهو إزالة الخصومات بالإصلاح بين الناس[2].
- **مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ:** من ناحية بعيدة في المدينة[3].
- **الْمَلَأَ:** كبار القوم، والمقصود هنا فرعون وأعوانه[4].
- **يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ:** يأمر بعضهم بعضاً بقتلك[5].
- **خَائِفًا يَتَرَقَّبُ:** أي: خائفًا أن يصيبه منهم سوء[6].

ثالثاً: البلاغة

1- في قوله تعالى: **(جبّار، غَوِيٌّ، مُّبِينٌ)** مبالغةٌ؛ "لأن فعّال وفعيل من صيغ المبالغة"[7].
"ومن صيغ المبالغة: **(ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ)**"[8].

2- بين قوله تعالى: **(جَبَّارًا)** و**(ٱلْمُصْلِحِينَ)** طباق؛ لأن الجبّار المُفسد المخرّب، المُكثر للقتل وسفك الدماء، ففيه طباق في المعنى **(مع الإصلاح والمصلحين)** [9].

3- في قوله تعالى: ﴿رَبِّ بِمَآ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ فَلَنۡ أَكُونَ ظَهِيرٗا لِّلۡمُجۡرِمِينَ﴾: استعطاف[10].

4- في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمَلَأَ يَأۡتَمِرُونَ بِكَ لِيَقۡتُلُوكَ﴾: تأكيد بإنّ واللام، مناسبةٌ لمقتضى الحال[11].

---

(1) الشوكاني، فتح القدير، (ج165/4).
(2) انظر: عمر، معجم اللغة العربية المعاصر، (ج1312/2).
(3) انظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، (ج94/5).
(4) انظر: ابن قتيبة، غريب القرآن، (ج330/1).
(5) انظر: ابن منظور، لسان العرب، (ج29/4).
(6) انظر: ابن قتيبة، غريب القرآن، (ج542/19).
(7) الصابوني، صفوة التفاسير، (ج393/2).
(8) الزحيلي، التفسير المنير، (ج72/20).
(9) انظر: الصابوني، صفوة التفاسير، (ج393/2).
(10) انظر: المرجع السابق.
(11) انظر: المرجع نفسه، (ج399/2).

رابعاً: التفسير الإجمالي

رُبِّي موسى عليه السلام بحفظ الله وكَلَئِه، وظهرت ثمرة ذلك عندما بلغ موسى عليه السلام أشدّ قوته وتكامل عقله، فجزاه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى على إحسانه أن رزقه حكماً وعلماً يعرف بهما الأحكام الشرعية. وما هذا الجزاء خاص بموسى عليه السلام، بل كل من أحسن فإن الله يجازيه على إحسانه، وكلاً على قَدْرِه.

وذات مرة دخل موسى عليه السلام المدينة في وقت تقل فيه الحركة لغفلة الناس في هذا الوقت، فوجد رجلين يقتتلان؛ أحدهما من بني إسرائيل، والآخر من اتباع فرعون، فاستغاث الرجل الذي من بني إسرائيل بموسى على الرجل القبطي. ولا شك أن الأقباط في غالبهم في ذلك الوقت كانوا يسومون بني إسرائيل العذاب ويظلمونهم، فما كان من موسى عليه السلام إلا أن ضرب هذا القبطي بيده مجموعة الأصابع فقتله.

فبادر موسى عليه السلام نَدِماً معترفاً بأنّ سبب ذلك هو الشيطان الرجيم؛ لأنه عدو لابن آدم عن سبيل الرشاد، ظاهر العداوة، فتاب موسى عليه السلام إلى الله واستغفره، فغفر الله له؛ لأنه كثير المغفرة عظيم الرحمة.

فما كان من موسى عليه السلام إلا أن ازداد شكراً للرحمن، وعاهد نفسه بما أنعم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى عليه من النعم العظيمة؛ ومنها أن غفر الله له قتله القبطي، بأنّ موسى عليه السلام لن يعين عاصٍ على معصيته، وعلم موسى عليه السلام أنّه قد يصل هذا الخبر إلى فرعون.

فخرج صباحاً في المدينة خائفاً يترصد الأخبار وماذا يتحدّث الناس عن قتله للقبطي، فإذ به وهو يسير يناديه ويستغيث به الرجل الذي من بني إسرائيل مرة أخرى على رجل قبطي، فقال له موسى: ما أكثر غوايتك وأظهر ضلالتك، ولكنّ موسى عليه السلام تعاطف معه مرة أخرى، وأراد أن يضرب القبطي، فقال القبطي لموسى: هل تريد قتلي كما قتلت نفساً بالأمس؟ فهذا يدل على أنّك تريد أن تكون جبّاراً في الأرض وما تريد أن تكون مصلحاً بين الناس، فلو أردت الإصلاح لا تحتاج إلى قتلي، وإنما كان يكفيك أن تعزل بيننا، فاستجاب موسى عليه السلام لهذه الموعظة ولم يبطش به.

وجاء المنادي مسرعاً لموسى عليه السلام من مكان بعيد، قال: يا موسى إنّ كبار القوم قد عقدوا مؤتمراً ليقتلوك، فاخرج مسرعاً من هذه المدينة، وما أريد إلا النصيحة لك.

فاستجاب موسى عليه السلام لهذا الرجل فخرج مسرعاً خائفاً من أن يدركوه، مترقباً من أن يعلموا مكانه، داعياً الله عز وجل أن ينجّيه من هؤلاء الظالمين، حيث حكموا عليه من كلام الناس، وقد كان قتله للقبطي خطأً، ولكن هذا هو قانون الظالمين[1].

خامساً: تحقيق المقاصد والأهداف من الآيات

1- الاستغاثة بالمخلوق جائزة؛ إذا كان حيّاً قادراً على الإغاثة.

2- "يُعلّمنا موسى عليه السلام أنّ الإنسان ساعة يقترف الذنب، ويعتقد أنّه أذنب لا يكابر، إنّما ينبغي عليه أنْ يعترف بذنبه وظلمه لنفسه، ثم يبادر بالتوبة والاستغفار ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ﴾ [القصص: 16] يعني: يا ربّ حكْمك هو الحقّ، وأنا الظالم المعترف بظلمه"[2]، قال ﷺ: **(التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ)**[3].

3- على المؤمنين أن يوالي بعضهم بعضاً وأن يتبرؤوا من الكفار، فالولاء بقدر الطاعة، والبراء على قدر المعصية، فلا بدّ من تحقيق هذه العقيدة، وأن تكون مبنية على لا إله إلا الله، لا تكون على أي أمر غير الإسلام، حتى لا يتفرّق المسلمون ويُذلّون[4]، قال تعالى: ﴿فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ﴾ [القصص : 15]، فلبّى موسى استغاثته ولم يتردّد.

4- إثبات اسمي وصفتي المغفرة والرحمة لله تعالى، ومن آثار هاتين الصفتين ألّا يقنط المسلمون من رحمة الله، وأن يتعرّض المسلمون لنفحات رحمته وأسباب مغفرته.

5- على المسلمين أن يتّخذوا الشيطان عدواً، قال تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ [فاطر : 6].

6- "جزى الله موسى على طاعته وصبره على أمر ربه، وجزى أم موسى لما استسلمت لأمر الله، وألقت ولدها في البحر، وصدّقت بوعد الله، فرد ولدها إليها وهي آمنة، ووهب له العقل والحكمة والنبوة، كذلك يجزي كل محسن"[5]، قال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ

---

[1] انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، (ج613/1)، وانظر: نخبة من أساتذة التفسير، التفسير الميسر، (ص387).

[2] الشعراوي، تفسير الشعراوي، (ج10898/17).

[3] [ابن ماجه: سنن ابن ماجه، الزهد/ذكر التوبة، ج320/5: رقم الحديث: 4250]، وصححه الألباني.

[4] انظر: العثيمين، تفسير سورة القصص، (ص73).

[5] الزحيلي، التفسير المنير، (ج68/20).

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [يوسف : 90]، الصبر والتقوى مفتاح كل خير.

7- "كان من توابع توبة موسى عليه السلام أنه أقسم بما أنعم الله عليه ألّا يظاهر ولا يعاون مجرماً، فعلى من تاب أن يُحسِن بعد توبته، فإنّ ذلك من أعظم أسباب الثبات على التوبة.

8- دلّت آية: ﴿فَلَنۡ أَكُونَ ظَهِيرٗا لِّلۡمُجۡرِمِينَ﴾ على أنه لا يجوز معاونة الظلمة والفسقة، قال تعالى: ﴿وَلَا تَرۡكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ﴾ [هود : 113].

9- الخوف الطبيعي لا يُلام عليه الإنسان ولا ينافي كمال الإيمان، بل قد يكون فيه سبيل الأمان، كما حدث مع موسى عليه السلام.

10- يوصف الشرير بأنه غوي (خائب) مُبين، ويوصف القاتل بأنه جبّار، أي قتّال؛ يفعل ما يريد من الضرب والقتل والظلم، ولا ينظر في العواقب.

11- لا بدّ من الأخوة الإيمانية؛ فقد جاء هذا الرجل المؤمن مسرعاً ليخبر موسى عليه السلام بمكيدة فرعون وملئه، وأنّهم يتشاورون في قتله، ونصحه بالخروج مسرعاً من دولة فرعون، قال ﷺ: **(مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى)**[1].

12- شأن المؤمن دائماً أن يلجأ إلى الله تعالى، فقد خرج موسى عليه السلام من مصر، خائفاً يترقب الطلب، قائلا: ﴿رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، فنجّاه الله ووصل إلى بلاد مدين[2].

13- "شكر النعم، فموسى لمّا غفر الله له شكره بأن تعهّد له أن لا يقف إلى جنب مجرم أبداً"[3].

---

[1] [مسلم: صحيح مسلم، البر والصلة والآداب/تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، ج1999/4: رقم الحديث 2586].

[2] انظر: الزحيلي، التفسير المنير، (ج77/20).

[3] الجزائري، أيسر التفاسير، (ج62/4).

المبحث الثاني

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الآيات من (22–32) من سورة القصص

المطلب الأول: أدب موسى عليه السلام مع ربه ومع الناس

قال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ۖ قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾ [القصص : 22–24].

أولاً: المناسبة

"بعد أن تمالأ فرعون وقومه على قتل موسى، وأخبره مؤمن من آل فرعون بما عزموا عليه، ونصحه بالخروج من مصر، فخرج متجها إلى أرض مدين ماشياً، – برعاية الله وهدايته الطريق –"[1].

ثانياً: معاني المفردات

– **مَدْيَنَ:** هي مدينة تقع على بحر القُلْزُم[2] محاذية لتبوك[3]، على نحو ست مراحل[4]، وهي أكبر من تبوك، وبها البئر التي استقى منها موسى عليه السلام لسائمة المرأتين ... ومدين اسم قبيلة[5].

– **يهديني سَوَاءَ السَّبِيلِ:** "أي: وسط الطريق وقصده"[6]، ويرى الباحث: أنه لا مانع أن يكون

---

[1] الزحيلي، التفسير المنير، (ج82/20).

[2] هو ما يُسمّى بالبحر الأحمر حالياً، موقع وكيبيديا الموسوعة الحرة: (https://ar.wikipedia.org/wiki/بحر_القلزم).

[3] تبوك: منطقة تقع في الجزء الشمالي الغربي من المملكة العربية السعودية، ما بين جبلي حَسْمَى في الغرب وشَروري في الشرق. (http://www.tabukm.gov.sa/OurGeography.aspx).

[4] المَراحِل، وَمُفْرَدُها مَرْحَلَةُ وهي: المسافةُ التي يقطعها السائرُ في نحو يوم، أَو ما بين المنزلَيْنِ، انظر إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، (ج335/1)، وتُقدَّر بنحو 35 كيلومتر، موقع جريدة الغد: (http://www.alghad.com/articles/).

[5] انظر: الحموي، معجم البلدان، (ج77/5).

[6] ابن الهائم، التبيان، (ج256/1).

المقصود أن يهديه الله تعالى في الدنيا إلى أيسر طريق لمدين وكل نافع، وفي الدين إلى الصالحات و إلى الجنة.

- **ولما وَرَدَ ماء مدين:** "أَيْ لما وَصَلَ إِلَى مَدْيَنَ"[1]

- **وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ:** يقول: الدُّون: قد تأتي بمعنى الجهة[2]، والمقصود هنا – والله أعلم–، أي: وَوَجَد موسى عليه السلام امرأتين مُتَنَحِّيَتَيْنِ جانبًا، عن جماعة النَّاس الذين يَسقون عند الماء.

- **تَذُودانِ:** وأصلها من: ذاد: بمعنى: طرد ودفع[3]، والمعنى هنا – والله أعلم – أن المرأتين تطردان ماشيتهما، لِئَلَّا تسقيا مع الرجال.

- **قَالَ مَا خَطْبُكُمَا:** أي: قال موسى للمرأتين ما شأنكما وأمركما[4].

- **حتى يصدر الرعاء:** "حتى ينتهي الرعاةُ من السقي وينصرفون"[5].

ثالثاً: القراءات

(يَصْدُرَ الرعاء) قرأ أبو جعفر وابن عامر وأبو عمرو بفتح الياء وضم الدال، قرأ الباقون بضم الياء وكسر الدال (يُصۡدِرَ ٱلرِّعَآءُ)[6].

معنى القراءتين

- "القراءة الأولى: أي يبتعد الرعاء جمع راع وهو راعي المواشي.
- القراءة الثانية: أي تبتعد المواشي عن الماء ومكان السقي"[7].

وزاد الألوسي: "معنى آخر للقراءة الأولى: أنها تدلّ على شدة حيائهن"[8].

العلاقة التفسيرية بين القراءتين

أنَّهن من عادتهن السقي كل يوم عند انتهاء الرعاء من سقي مواشيهم وابتعادهم مع

---

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (ج204/6).

(2) انظر: ابن منظور، لسان العرب، (ج165/13).

(3) انظر: المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، (ج317/1).

(4) انظر: ابن منظور، لسان العرب، (ج360/1).

(5) دروزة، التفسير الحديث، (ج311/19).

(6) انظر: ابن الجزري، النشر، (ج341/2).

(7) الطبري، جامع البيان، (ج555/10).

(8) الآلوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، (ج269/10).

مواشيهم عن الماء، تذهبان للسقي، وهذا من شدة حيائهن وحرصهن على عدم الاختلاط[1].

رابعاً: البلاغة

1- في قوله تعالى: ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ كناية، "فقد أرادتا أن تقولا له: إننا امرأتان ضعيفتان مستورتان، لا نقدر على مزاحمة الرجال، ومالنا رجل يقوم بذلك، وأبونا شيخ طاعن في السن، قد أضعفه الكبر وأعياه، فلا بد لنا من تأخير السقي إلى أن يقضي الناس أوطارهم من الماء"[2].

2- "في قوله تعالى: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ استعطاف وترحم"[3].

خامساً: التفسير الإجمالي

بعد أن علم موسى عليه السلام بقرار فرعون أن يقتله خرج من دولة فرعون قاصداً مدين داعياً الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى أن يرشده إلى خير طريق يوصل إلى مدين، وأن يرعاه برعايته.

فلمّا وصل ماء مدين، وكانوا أصحاب مواشٍ وجدهم يسقون مواشيهم، ووجد من دونهم امرأتين مبتعدتين بغنميهما عن مكان السقي. فَرَقّ موسى عليه السلام لحال هاتين المرأتين، فقال لهما: ما شأنكما؟ قالتا: إنّا ننتظر أن يسقي الرجال مواشيهم ويتصرفوا حتى نتمكن بعد ذلك من سقاية مواشينا بعيداً عن زحام الرجال، وأبونا شيخ كبير لا يقدر أن يأتي ويسقي مع الرجال.

فسقى موسى عليه السلام لهما، ولم يأخذ منهما أجراً. ثم ذهب إلى ظل لِيَقِيه من حرارة الشمس، ويستريح فيه من عناء السقاية والسفر، وكان قد اشتد به الجوع، فما كان منه إلا أن توجّه إلى ربه بأنه فقير إلى ما تسوقه إليّ من أي خير كان، ومنه الطعام[4].

سادساً: تحقيق المقاصد والأهداف من الآيات

1- **من ضوابط خروج المرأة وعملها**

أولاً: أن يكون خروجها من بيتها للحاجة الملحة أو للضرورة[5].

---

[1] انظر: أبو شعبان، تفسير القرآن بالقراءات العشر، (ج29/9).

[2] صافي، الجدول، (ج399/2).

[3] الصابوني، صفوة التفاسير، (ج399/2).

[4] نخبة من أساتذة التفسير، التفسير الميسر، (ص388).

[5] انظر: الشعراوي، تفسير الشعراوي، (ج17904/20).

ثانياً: أن تكون مستورة في لباسها.

ثالثاً: أن لا تزاحم الرجال[1].

رابعاً: أن تحافظ على حيائها، فلا تطيل المكث في الخارج، فقط على قدر المطلوب.

خامساً: لا مانع من مخاطبة الرجال عند الحاجة، وألّا يُزاد عن الحاجة.

2- أنّ الأصل في الأعمال الخارجة أنّها للرجال، فعلّة خروجهما (أبونا شيخ كبير).

3- أنّه ينبغي تسهيل المعاملات وتسريع الإجراءات للنساء، لأن الأصل أنها لم تخرج إلّا لأنه لا يوجد لديها رجل يلبي حاجاتها الخارجية[2].

4- أنّ كلام الواحد مع إقرار المجموعة يُعتَبر كلاماً من الجميع، قال تعالى: ﴿قَالَتَا لَا نَسْقِي﴾ [القصص : 23]؛ مع أنّ المُتحدِّثة إحداهن.

5- علينا الاكتفاء بالأعذار العامة، وأن لا نُكثِر السؤال، فهذا موسى عليه السلام لم يستفسر منهن فيقول لهما: وهل لا يوجد لكما إخوة يقومون بالسقاية بدلاً عنكما.

6- حتى لا يقع الظنّ السيء عليك بالبيان، فقد قالت المرأتان: وأبونا شيخ كبير، ومن فوائد هذا القول ألَّا يُساء الظن بهما، وعلينا أن نحسن الظن بغيرنا من المسلمين.

7- أنّ فقرك لا يكون إلا لله، وغناك لا يكون إلا بالله، فلا تلجأ إلا لله، هذا من معانى فَقَالَ: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: 24].

8- من أخلاق الكريم أن يكافئ من أحسن إليه.

9- الإحسان إلى الآخرين والزهد فيما عندهم سبب لمحبتهم وكسبهم، فها هو موسى عليه السلام، أعان المرأتان، ولم يطلب منهما أجراً، فكان سبباً لدعوت أبيهما له عليه السلام، ولعله لو طلب الأجرة من البنتين، لما أرسل أبوهما له عليه السلام، والله أعلم.

10-وجوب حسن الظن بالله تعالى وقوة الرجاء فيه عز وجل والتوكل عليه.

11-بيان مروءة موسى في سقيه للمرأتين، وجمال التحلي بهذه الخِصلة.

12-فضل الدعاء وسؤال الله تعالى على الدوام[3].

---

[1] انظر: الشعراوي، تفسير الشعراوي، (ج17905/20).

[2] انظر: المرجع السابق، (ج17905/20).

[3] انظر: الجزائري، أيسر لتفاسير، (ج4/ 65).

المطلب الثاني: موسى عليه السلام يتعامل بالإحسان

قال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ ۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَيَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٍ ۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ ۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ۚ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ ۖ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَيَّ ۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾﴾ [القصص : 25-28].

أولاً: المناسبة

"عرفت أن الفاء تؤذن بأن الله استجاب له فقيّض شعيباً أن يرسل وراء موسى ليضيفه ويزوّجه بنته، فذلك يضمن له أنساً في دار غربة ومأوى وعشيراً صالحاً. وتؤذن الفاء أيضاً بأن شعيباً لم يتريث في الإرسال وراءه فأرسل إحدى البنتين اللتين سقى لهما وهي (صفورة) فجاءته وهو لم يزل عن مكانه في الظل"[1].

وليس ثَمّة دليل أنّ هذا الرجل الصالح هو شعيب النبي عليه السلام، بل ولم يثبت عن أحد من الصحابة والتابعين أنّ صاحب مدين هو شعيب عليه السلام[2].

ثانياً: معاني المفردات

- **عَلى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْراً فَمِنْ عِنْدِكَ:** "أي على أن ترعى غنمي ثمانِيَ سِنين، فإن تبرَّعْتَ بزيادة سنتين فهُو إليك"[3].

- **وَما أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ:** "بإلزام إتمام العشر والمناقشة في مراعاة الأوقات واستيفاء الأعمال"[4].

- **أَيَّمَا الأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ:** "يقول: أيّ الأجلين من الثماني الحجج والعشر الحجَج قضيت"[5].

---

[1] ابن عاشور، التحرير والتنوير، (ج103/20).

[2] انظر: ابن تيمية، الجواب الصحيح، (ج249/2).

[3] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (ج206/6).

[4] الآلوسي، روح المعاني، (ج276/10).

[5] الطبري، جامع البيان، (ج565/19).

- **فَلا عُدْوانَ عَلَيَّ:** "أَيْ فَلَا حَرَجَ عَلَيَّ"[1].

- **وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ:** "أي: والله على ما أوجب كلّ واحد منا لصاحبه على نفسه بهذا القول، شهيد وحفيظ"[2].

ثالثاً: البلاغة

1- في قوله تعالى: ﴿عَلَى ٱسۡتِحۡيَآءٖ﴾ إشارة: "فقد أشار بلمح خاطف، يشبه لمح الطرف، وبلغة هي لغة النظر، إلى وصف جمالها الرائع الفتان، باستحياء لأن الخفر من صفات الحسان، ولأن التهادي في المشي من أبرز سماتهن"[3].

2- في قوله تعالى: ﴿إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ﴾، "كلام حكيم جامع لا يزاد عليه، لأنه إذا اجتمعت هاتان الخصلتان، أعني القوة والأمانة، في القائم بأمرك فقد فرغ بالك وتم مرادك، وقد استغني بإرسال هذا الكلام الذي سياقه سياق المثل، والحكمة أن تقول استأجره لقوته وأمانته"[4].

3- "جناس بين: **(قَصَّ)** و **(ٱلۡقَصَصَ)**"[5].

رابعاً: التفسير الإجمالي

لمّا انصرفت المرأتان اللتان سقا لهما موسى عليه السلام أخبرتا والدهما بما كان من هذا الرجل الصالح، فما كان من هذا الشيخ الكريم إلا أن بعث إحدى ابنتيه لهذا الرجل ليشكره ويجزيه على ذلك.

فأتت إحداهما تمشي وقد امتلأت حياءً بسبب عفتها وحسن تربيتها ولِمَا رأت من رجولة موسى وكريم شِيَمه. فقالت لموسى: إنّ أبي يدعوك ليعطيك أجر معاونتك لنا في السقي، -يعني: فليس هو منّة منّا-، فلبّى موسى عليه السلام دعوة أبيها.

فلمّا جلس عنده ذكر له سبب هروبه من بلده ومجيئه إلى مدين، فقال له هذا الشيخ

---

[1] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (ج207/6).
[2] الطبري، جامع البيان، (ج567/19).
[3] صافي، الجدول، (ج245/20).
[4] المرجع السابق، (ج247/20).
[5] الصابوني، صفوة التفاسير، (ج399/2).

الطيب مطمئناً لموسى عليه السلام: لا تخف، فأنت الآن خارج سلطان هذا الظالم.

قالت إحدى ابنتي هذا الرجل الصالح: فليكن هذا الرجل أجيراً عندنا يقضي لنا أعمالنا، فإنّا قد رأينا منه قوة ونشاطاً في العمل، وأمانة على أموالنا وأعراضنا، ورحمة وإحساناً.

ولكن أباها أراد أمراً أكبر من ذلك؛ أن يزوجه إحدى ابنتيه، فعرض ذلك على موسى عليه السلام، على مهر قيمته أن يرعى موسى لهذا الشيخ أغنامه ثماني أعوام، وإن أزادها موسى عليه السلام إلى عشر فهذا فضل ليس بلازم. ثم بين له هذا الشيخ الصالح أنه لن يرى منه إلا معاملة حسنة يسيرة ليس فيها مشقة.

قال موسى عليه السلام: هذا العقد بيني وبينك، فإن قضيت الثماني أو العشر فلا حرج عليّ، والله حافظ يراقبنا، ويعلم ما تعاقدنا عليه[1].

خامساً: تحقيق المقاصد والأهداف من الآيات

1- إنّ شعور المرأة بالحياء عند خروجها من البيت ومعاملة الرجال، صفة تدل على جمال المرأة المعنوي، الذي يفوق كل جمال، والذي ينجذب إلى كماله الرجال، كما أنّ الحياء يدلّ على كمال الأدب وحسن التربية، وفي الغالب فإنّ كثرة خروج المرأة، واحتكاكها بالرجال إما يُذهب أو يُنقص هذه الصفة.
2- الأدب الراقي في قولها: إنّ أبي يدعوك، فنسبت الدعوة لأبيها.
3- وذكاء المرأة في قولها: ليجزيك أجر ما سقيت لنا؛ حتى لا يخاف من هذه الدعوة ويستأنس بها، وتكون أدعى لقَبولها[2].
4- من معالي صفات المرأة أن تكره الخروج من البيت، وتبحث عما يتم لها أعمالها الخارجية، وذلك من: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ﴾ [القصص: 26]، فهو دليل على أنها لم تعشق الخروج للعمل، إنما تطلب مَنْ يقوم به بدلاً عنها؛ لِتقَّر في بيتها[3].
5- لا مانع أن تبدي المرأة رأيها في إدارة الأعمال التي يقوم بها الرجال، وتَقَبُّل ذلك منها.
6- أن يتَقَبَّل الآباء آراء الأبناء، وهذا من حسن التربية.

---

[1] انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، (ج614/1).

[2] انظر: العثيمين، تفسير سورة القصص، (ص101-102).

[3] انظر: الشعراوي، تفسير الشعراوي، (ج17/ 10908).

7- "دلّ قوله تعالى: ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ﴾ على مشروعية الإجارة، وهي فعلا كانت مشروعة في كل ملّة، لحاجة الناس إليها، وتحقيق مصالحهم بها"[1].

8- من الأمانة في اختيار من يقوم بالأعمال أن يجتمع فيه شرطان؛ وهما: القوة والأمانة؛ القوّة في تخصّصه وفيما يحتاج العمل، فقد تكون القوة في الجسم إن كان العمل يتطلّب ذلك، وقد تكون القوّة في إتقان الحِرَف والصِناعات ونحو ذلك.

9- إكرام الضيف عادة الصالحين، قال ﷺ: **(مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمُ ضَيْفَهُ)**[2].

10-إكرام الضيف يكون مادّياً ومعنوياً؛ فمن إكرام الضيف تطمينه وإيناسه.

11-إيواء المظلومين شهامة ورجولة، قال ﷺ: **(انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِماً أو مَظْلُوماً)**[3].

12-الكفاءة شرط في العمل، وصفتا القوّة والأمانة على رأسها.

13-يُشرَع لولي الفتاة أن يعرض تزويجها لمن يرى فيه الكفاءة والصلاح.

14-أن يتحرّى الرجل الأفضل عند تزويجه لبناته.

15-الزهد سنّة الأنبياء، فهذا موسى عليه السلام يؤجر نفسه على شبع بطنه وإحصان فرجه[4].

16-أن لا يكون الإنسان المسلم عالة على غيره، بل يسعى لكسب الرزق.

المطلب الثالث: إكرام الله موسى عليه السلام بالرسالة

قال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿* فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِن جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ۝٢٩ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَا مُوسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ۝٣٠ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَىٰ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ ۝٣١ اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ

---

[1] الزحيلي، التفسير المنير، (ج87/20).

[2] [البخاري: صحيح البخاري، الأدب/من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، ج11/8: رقم الحديث 6018].

[3] [المرجع السابق، المظالم والغصب/أعن أخاك ظالماً أو مظلوماً، ج128/3: رقم الحديث 2443].

[4] انظر: الجزائري، أيسر التفاسير، (68/4).

ٱلرَّهۡبِۖ فَذَٰنِكَ بُرۡهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ﴿٣٢﴾ [القصص : 29-32].

أولاً: المناسبة

"بعد أن أتم موسى عليه السلام أوفى الأجلين، عزم على العودة إلى مصر، لزيارة أقاربه، وبينا هو في الطريق، وكانت الليلة باردة شاتية، أبصر من ناحية جبل الطور نارا، فطلب من أهله المكث في مكانهم، ليحضر لهم جذوة نار، فناداه ربه، وآتاه النبوة والرسالة"[1].

ثانياً: معاني المفردات

- **آنس من جانب الطور ناراً:** "أي أبصر من الجهة التي تلي الطور نارا"[2].
- **لعلي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ:** " لعلّي أجد من يدلُّني على الطريق وكانوا قد ضلوا الطريق"[3].
- **لعلكم تَصْطَلُونَ:** "أي تستدفئون"[4].
- **شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ:** شاطئ: جانب[5]، أي جانب الوادي من جهة اليمين.
- **كَأَنَّهَا جَانٌّ:** الجانّ: الحية الصغيرة سريعة الحركة كثيرة الاضطراب[6].
- **وَلَمْ يُعَقِّبْ:** أي: لم يلتفت من شدّة الخوف[7].
- **اسْلُكْ يَدَكَ:** "أي أدخل يدك"[8].
- **فِي جَيْبِكَ:** "هو فتح الجبة من حيث يخرج الرأس"[9].
- **مِنْ غَيْرِ سُوءٍ:** "أَيْ مِنْ غَيْرِ بَرَصٍ وَلَا أَذًى وَمِنْ غَيْرِ شَيْنٍ"[10].

---

(1) الزحيلي، التفسير المنير، (ج95/20).
(2) الشوكاني، فتح القدير، (ج4/ 169).
(3) المرجع السابق، (ج172/4).
(4) دروزة، التفسير الحديث، (ج284/3).
(5) المرجع السابق، (ج315/3).
(6) انظر: البغوي، تفسير البغوي، (ج146/6).
(7) انظر: ابن منظور، لسان العرب، (ج619/1)، وانظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (ج163/6).
(8) ابن قتيبة، غريب القرآن، (ج284/1).
(9) الآلوسي، روح المعاني، (ج284/10).
(10) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (ج248/5).

- **وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ:** "واضمم إليك يدك"[1].

- **مِنَ الرَّهْبِ:** من الخوف والفزع [2].

- **فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ:** "أي: فهذان اللذان أريتكهما يا موسى من تحوُّل العصا حية، ويدك وهي سمراء، بيضاء تلمع من غير برص، برهانان: يقول: آيتان وحجتان"[3].

ثالثاً: البلاغة

في قوله تعالى: ﴿اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ﴾.

كرّر المعنى الواحد لاختلاف الغرضين، وذلك أن الغرض في أحدهما خروج اليد بيضاء، وفي الثاني إخفاء الرعب.

رابعاً: التفسير الإجمالي

بعد أن أتمّ موسى عليه السلام أكمل الأجلين (عشر سنين) اشتاق إلى أمه وإخوته، فأقفل مع زوجته راجعاً إلى بلده مصر، وكان الجوّ بارداً وقد أخطأ الطريق، فإذ به يرى ناراً بجانب جبل الطور، فقال لأهله انتظروا مكانكم فسوف أذهب إلى هذه النار فلعلي أسأل عن الطريق مَن عندَها، أو آتيكم بشيء من النار تستدفئون به.

فما أن وصل إلى ذلك النور، إذ بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَى يناديه من شاطئ الوادي الأيمن في البقعة المباركة، فقال له الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى : يا موسى: إنّي أنا الله رب العالمين. إذاً فليكن منك يا موسى الالتزام بالعبودية الكاملة لله الذي رباك وأنعم عليك.

فأمره الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى أنّ يُلقي عصاه التي كانت معه، فإذ به يراها تحوّلت إلى جانّ من الحيات العظيمة، ففزع وهرب مسرعاً ولم يلتفت لما أصابه من خوف. ولكنّ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى ناداه أن تعال يا موسى، بل ولا تخف، بل إنك محفوظ آمن لن يصيبك سوء.

ثمّ آتاه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى آية أخرى فقال له: اسلك يدك، أي أدخل يدك في جيبك تخرج بيضاء جميلة سالمة من كل مرض.

وقال له الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: واضمم إليك جناحك، أي ألصق عضدك ويدك إلى صدرك ليذهب عنك الخوف، فاذهب يا موسى بدعوة فرعون إلى الإيمان.

---

[1] الطبري، جامع البيان، (ج574/19).

[2] انظر: ابن منظور، لسان العرب، (ج436/1).

[3] الطبري، جامع البيان، (ج574/19).

وهاتان آيتان عظيمتان من الله ليؤمن برسالتك من كان يرجو النجاة، ولتكون هاتان الآيتان: أن أصبحت عصاتك جانّاً (حيّة عظيمة) وأن ذهب من يدك كل سوء، فلتكن هاتان الآيتان حجة على من لم يقبل الإيمان[1].

خامساً: تحقيق المقاصد والأهداف من الآيات

1- "دلّ قوله: ﴿وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ﴾ على أن الرجل يذهب بأهله حيث شاء، لما له عليهم من فضل القوامة وزيادة الدرجة"[2].

2- حُسْن معاملة الرجل زوجته ومن يعول، وأن يهيء لهم أسباب الراحة؛ فهذا موسى عليه السلام يذهب ليستدفئ لأهله، قال ﷺ: **(خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي)**[3].

3- الاشتياق إلى الأم والأهل والأقارب فطرة سليمة، وصلتهم خلق كريم، حتى لو تكلّف الإنسان السفر من أجل ذلك، كما فعل موسى عليه السلام، سافر من مدين إلى مصر شوقاً لأمّه وأهله.

4- توقع الخير والحذر في السفر، فموسى عليه السلام توقع أن يجد خيرا عند النار، ومع ذلك أمر زوجته أن تنتظره في مكان بعيد عن النار.

5- السؤال عند عدم معرفة الطريق خوف الضياع، وسؤال أهل الذكر عند خوف الضلال في الدين أولى وأوجب، قال تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل : 43]، وقال ﷺ: **(إنّما شفاءُ العِيِّ السؤال)**[4].[5]

6- أنّ الله يتكلم حقيقة بحرف وصوت، ولكن كيفيته ليست ككيفية كلام البشر، بل كلامه يليق به تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فيتكلّم كيف شاء متى شاء بما شاء جَلَّ جَلَالُهُ وتقدست أسماؤه، قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى : 11].

7- لا بدّ من امتثال أمر الله واجتناب نهيه في جميع الأحوال ظاهرا وباطنا، فهذا موسى عليه السلام أمره الله: **(أَلْقِ) (أَدْخِلْ) (اضْمُمْ) (أَقْبِلْ)** ونهاه: **(وَلَا تَخَفْ)**، فما كان من

---

[1] انظر: نخبة من أساتذة التفسير، التفسير الميسر، (ص389)، وانظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، (ج915/1).

[2] الزحيلي، التفسير المنير، (ج98/20).

[3] [الترمذي: سنن الترمذي، المناقب/فضل أزواج النبي ﷺ، ج709/5: رقم الحديث 3895]، وصحَّحه الألباني.

[4] [أبو داوود: سنن أبي داوود، الطهارة/في المجروح يتيمّم، ج93/1: رقم الحديث 336].

[5] انظر: العثيمين، تفسير سورة القصص، (ص139).

موسى عليه السلام إلّا الامتثال من غير ما تردّد، كيف وهو كليم الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ؟ قال ﷺ: **(فَإِذا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيء فاجْتَنِبُوه، وإذا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ)**[1].

8- مشروعية حمل السلاح في السفر.

9- لا تيأس من أن يشفيك الله من أي مرض، فالله على كل شيء قدير، فقد يشفيك الله بأبسط الأسباب، قال ﷺ: **(إنَّ اللهَ تَعَالَى لَمْ يُنْزِلْ دَاءً إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ دَوَاءً عَلِمَهُ مَنْ عَلِمَهُ وَجَهِلَهُ مَنْ جَهِلَهُ إِلَّا السَّام وهو المَوت)**[2].

10- "مشروعية التدريب على السلاح قبل استعماله.

11- لا يُلام المرء على الخوف الطبيعي.

12- التنديد بالفسق وأهله"[3]، فاحذرهم واحذر طرقهم.

---

[1] [البخاري: صحيح البخاري، الاعتصام بالكتاب والسنّة/الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ، ج94/9: رقم الحديث 7288].

[2] [النيسابوري: المستدرك على الصحيحين، كتاب الطب، ج401/4: رقم الحديث 8220]، وصحَّحه الألباني.

[3] انظر: الجزائري، أيسر التفاسير، (ج8/4).

المبحث الثالث

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الآيات من (33-50) من سورة القصص

المطلب الأول: استعانة موسى بأخيه هارون عَلَيْهِمَا السَّلَامُ

قال تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿ **قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِيٓ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٣٥﴾** ﴾ [القصص : 33-35].

أولاً: المناسبة

"بعد أن قال الله سبحانه: فذانك برهانان من ربّك إلى فرعون وملائه علم موسى عليه السلام أنه يذهب بهذين البرهانين إلى فرعون وقومه، فطلب من الله تعالى ما يقوي قلبه، ويزيل خوفه من فرعون، فيرسل معه أخاه هارون وزيرا، فأجابه الله إلى طلبه"[1].

ثانياً: معاني المفردات

- **رِدْءًا يُصَدِّقُنِي:** "ردءا: معينا وسندا، يصدقني: يؤيدني ويشهد بصدقي إذا كذبوني"[2]

- **سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ:** "عضدك: ساعدك، وجملة سنشدُّ عضدك بمعنى سَنُقَوّيْك ونُؤَيّدُك"[3] بِأَخِيكَ.

- **ونجعل لكما سُلْطَانًا:** السلطان: الحجة النَيّرَةَ البَيّنَة[4]، التي تجلي الحق، ولا يمكن للباطل أن يقف أمامها، فمن هذا السلطان، آية العصا واليد وما شابههما[5]، فموسى وهارون لهم الغلبة على من عاداهما.

- **فلا يصلون إليكما:** "أَيْ لَا سَبِيلَ لَهُمْ إِلَى الْوُصُولِ إِلَى أَذَاكُمَا"

- **بِآيَاتِنَا أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ:** أي: أنتما ومن اتبعكما الغالبون بِحُجَجِنا وسلطاننا التي

---

(1) الزحيلي، التفسير المنير، (ج101/20).

(2) دروزة، التفسير الحديث، (ج315/3).

(3) دروزة، المرجع السابق.

(4) انظر: الزجاج، معاني القرآن، (ج144/4)

(5) انظر: النحاس، معاني القرآن الكريم، (ج180/5).

جعلها الله لكما[1].

ثالثاً: البلاغة

1- في قوله تعالى: ﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ﴾ استعارة تمثيلية، "شبّه حال موسى ﷺ، في تقويته بأخيه، بحال اليد في تقويتها بعضد شديد"[2].

2- بين قوله تعالى: "(يُصَدِّقُنِيٓ) (يُكَذِّبُونِ) طباق"[3].

رابعاً: التفسير الإجمالي

بعد أن كلّف الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ موسى ﷺ بتبليغ الرسالة بإنذار فرعون ودعوته إلى الله، قال موسى ﷺ مستشعراً عظم الأمانة خائفاً عليه، قال: إنّي أخاف يا رب إن أقبلت على فرعون وبلده أن يقتلونني لما كنت قد قتلت نفساً من قبل، فأشرك أخي هارون معي في الرسالة، فإنه أفصح مني لساناً، والحق إن كَثُرَ الإخبارُ به زاد يقين الناس به، فإني أخاف أن يكذّبونني إن كنت بمفردي، فاستجاب الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ دعاء موسى ﷺ، فجعل هارون رسولاً مع أخيه مكلفين بدعوة فرعون وقومه.

وزيادة في تطمين موسى ﷺ قال الله له: إني سأجعل لكما حجة وبياناً، فلا يستطيع فرعون وملؤه أن يصلوا إليكما بسوء، بل أنتما ومن آمن معكما هم الغالبون؛ لأن معكم آياتنا الدّالة على الحق[4].

خامساً: تحقيق المقاصد والأهداف من الآيات

1- مشروعية أن يُعِين الداعي الداعيَ، ومشروعية أن يطلب الداعي ذلك عند الحاجة، وذلك حكمةٌ ورجاحةُ عقلٍ[5].

2- اتّخاذ الأعوان على الخير من أسباب النجاة، وهذا معلوم من قديم الزمن، فكلّما كان

---

[1] انظر: المراغي، تفسير المراغي، (ج57/20).

[2] صافي، الجدول، (ج258/20).

[3] انظر: الزحيلي، التفسير المنير، (ج100/20).

[4] انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، (ج615/1-616)، وانظر: نخبة من أساتذة التفسير، التفسير الميسر، (ص389).

[5] انظر: الجزائري، أيسر التفاسير، (ج4/ 73)، وانظر: الزحيلي، التحرير والتنوير، (ج20/ 104).

الإنسان معه ما يعينه كان أقرب إلى النجاة من أن يكون منفرداً[1].

3- "ضرورة التسلّح بمختلف القوى المادية والمعنوية عند لقاء العدو، فقد طلب موسى عليه السلام من ربه تأييده بأخيه هارون، ليكون له عونا ووزيرا، ومدافعا ومبينا حجج الله وبيّناته في دعوة فرعون وقومه إلى عبادة الله وحده لا شريك له.

4- إنّ فصاحة اللسان لها أثر قوي في قَبول الدعوة، قال ﷺ: **(إنّ من البيان لسحرا)**[2].[3]

5- "إنّ السؤال المنطقي والدعاء المناسب للحال مستجاب متحقق، لذا أجاب الله طلب موسى عليه السلام، وقال له: سنقويك بأخيك"[4]، لذا يا من تدعو الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى التزم بآداب الدعاء التي وردت في القرآن والسنّة، فذلك أجدر لإجابة دعوتك.

6- على الداعي أن يعلم أنّه منصور وأنّ الله لا بد أن يظهر دعوته الحق، وألّا يهاب من ذوي البطش والسلطان، فليبلّغ دين الله بحكمة ورحمة، واعلم أنّ النبي ﷺ قد قال: **(أَفْضَلُ الْجِهَادِ كَلِمَةُ حَقٍّ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ)**[5].

7- **أنتما ومن اتّبعكما الغالبون:**

"فكلّ من كان للرسول أتبع كان إلى النصر أقرب، وكلّ من كان من اتّباع الرسول أبعد كان عن النصر أبعد"[6].

المطلب الثاني: هزيمة فرعون بسبب كفره واستكباره

قال تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِۦ وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى ۖ فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾ وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ

---

[1] انظر: العثيمين، تفسير سورة القصص، (ص166).

[2] [البخاري: صحيح البخاري، النكاح/الخُطبة، ج19/7: رقم الحديث 5146].

[3] انظر: العثيمين، تفسير سورة القصص، (ص167).

[4] الزحيلي، التفسير المنير، (ج20/ 104).

[5] [النيسابوري: المستدرك على الصحيحين، كتاب الفتن والملاحم، ج551/4: رقم الحديث 8543]، وصحَّحه الألباني.

[6] العثيمين، تفسير سورة القصص، (ص172).

وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ إِلَيۡنَا لَا يُرۡجَعُونَ ٣٩ فَأَخَذۡنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٠ وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةٗ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ٤١ وَأَتۡبَعۡنَٰهُمۡ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا لَعۡنَةٗۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلۡمَقۡبُوحِينَ ٤٢﴾ [القصص : 36-42].

أولاً: المناسبة

بعد أن كلّف الله موسى ﷺ بالرسالة وأرسل معه أخاه هارون وزيراً يُعينه ويُؤنس بعضهم بعضاً، لِيدعوا هذا الطاغية الجبار فرعون الذي ادّعى الألوهية والربوبية وقد عبّد الناس له، بدأت دعوتهما لفرعون باللّين، ثم كان ما كان من الاستكبار والعناد فأنجى الله موسى وهارون ومن آمن معهما، وأغرق فرعون ومن كفر معه[1].

ثانياً: معاني المفردات

- **سحر مفترى:** "أي مختلق مكذوب، اختلقته من قبل نفسك"[2].
- **عَاقِبَةُ الدَّارِ:** "أي من النُّصْرَةُ وَالظَّفَرُ وَالتَّأْيِيدُ"[3].
- **المَلأُ:** "الأَشْرَافُ، أَي من الْقَوْم ووُجُوههم ورُؤَساؤُهم ومُقَدَّمُوهم الَّذين يُرْجَع إِلى قَوْلِهِم"[4].
- **صرحاً:** "بنياناً مرتفعاً"[5].
- **فَنَبَذْناهُمْ فِي الْيَمِّ:** أي: طرحهم ورماهم[6] في البحر الذي هو اليم[7].
- **هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ:** "أَي: المبَعدينَ عَن كلِّ خَيْر"[8].

ثالثاً: القراءات

"قرأ نافع وحمزة والكسائي ويعقوب وخلف العاشر**(لا يَرجِعون)** بفتح الياء وكسر الجيم

---

(1) الزحيلي، التفسير المنير، (ج107/20).
(2) الشوكاني، فتح القدير، (ج173/4).
(3) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (ج213/6).
(4) الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، (ج436/1).
(5) النحاس، معاني القرآن، (ج181/5).
(6) انظر: ابن منظور، لسان العرب، (ج311/5).
(7) انظر: المرجع السابق، (ج647/12).
(8) الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، (ج35/7).

على البناء للفاعل، وقرأ الباقون(لَا يُرْجَعُونَ) بضم الياء وفتح الجيم على البناء للمفعول.

فالقراءة الأولى تدلّ على أن فرعون ومن معه ظنوا أنّهم لن يُحيَوا بعد موتهم، والقراءة الثانية تدلّ أنّهم ظنّوا أنّهم لن يُحاسبوا يوم القيامة"[1].

العلاقة التفسيرية بين القراءتين

أنّ كل إنسان سوف يبعث هو هو يوم القيامة وسوف يحاسبه الله تعالى على ما قدّم في دنياه[2].

رابعاً: البلاغة

قال الزمخشري: "إنّما قال: ﴿فَأَوْقِدْ لِي يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ﴾، أي أوقد لي النار فأتّخذ منه آجرّاً[3]، ولم يقل «أطبخ لي الآجّر»؛ لأن هذه العبارة أحسن طباقاً لفصاحة القرآن وعلو طبقته، وأشبه بكلام الجبابرة، وهامان وزيره ومدبّر رعيته"[4].

خامساً: التفسير الإجمالي

أرسل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ موسى وهارون عليهما السلام لدعوة فرعون وملئه. فلمّا وصل موسى عليه السلام ومعه آيات بيّنات وحجج ظاهرات على أنّه رسول الله حقاً وأنّ الله هو المعبود وحده لا شريك له خالق السموات والأرض، فلمّا دعا فرعون وقومه ما كان منهم إلا ما اعتادوا عليه من العناد والاستكبار، فقالوا: ما هذا الذي جئت به يا موسى إلا سحر قد افتريته، ولو كان حقاً لكان موجوداً عند آبائنا.

وقولهم باطل، فقد كان في آبائهم الأقدمين أنبياء ومرسلون كيوسف عليه السلام، ولكن يريدون أن يبقوا على ما هم عليه من الضلال والكفر زاعمين أنّه الحق، فقال لهم موسى عليه السلام: ربي أعلم بمن جاء بالهدى، يعني أنّ الحكم حكم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، والعاقبة لمن سار على هدى من

---

(1) محيسن، المستنير في تخريج القراءات المتواترة، (ج191/1).

(2) أبو شعبان، تفسير القرآن بالقراءات العشر، (ج38/9-39).

(3) آجُرّ: الطين المطبوخ على النار [انظر: ابن منظور، لسان العرب، (ج11/4)].

(4) الكشاف، (ج399/2).

ربه، أمّا من كذب وكفر فإنّه ظالم لا يفلح ولا يوفق للهداية، وفي هذا تعريض بحالهم، ولم يصرح لهم بأنهم ظلمة وضالين ليناً منه في دعوتهم.

ثمّ قال فرعون منادياً على كبار مملكته متلاعباً بعقولهم مدّعياً التواضع أنّه لا يعلم إلهاً غير نفسه، ولكن فلتبنِ لي يا هامان بناء عظيماً لأنظر هل هناك إله كما يدّعي موسى، وإنْ كنت أعتقد أنّه كاذب.

ولم يكن هذا من فرعون إلا استكباراً منه هو وجنوده بغير الحق، فلم يقبلوا الحق الذي جاءهم بالأدلة الساطعة، فاعتقدوا أنهم لن يرجعوا بعد موتهم ليحاسبهم ربهم، فحصل ما يكرهون وبُصِّروا بما يحذرون، فأخذ الله عَزَّوَجَلَّ فرعون وجنوده فأغرقهم في البحر. فانظر يا محمد كيف كانت عاقبة الظالمين، وأبلغ ذلك للعالمين، فقد جعلهم الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، أي: فرعون ومن معه أئمة في الشر يدعون إلى النار، يقتدي بهم أهل الشرور، فيحملون أوزارهم وأوزار من اقتدى بهم إلى يوم القيامة.

ويوم القيامة يحاسبون، لا يستطيعون دفع العذاب عن أنفسهم، وفي الدنيا قبل ذلك لهم عند الخلق الثناء القبيح والمقت والذمّ، فهم ملعونون في الدنيا، ويوم القيامة مبعدون عن رحمة الله، مستقذرة أفعالهم، فقد اجتمع عليهم مقت الله ومقت خلقه ومقت أنفسهم[1].

سادساً: تحقيق الأهداف والمقاصد من الآيات

1- من أساسيات الدعوة استخدام اللين المانع من نفور المدعو،"قال تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّيٓ أَعۡلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلۡهُدَىٰ مِنۡ عِندِهِۦ وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾.
تأمّل هنا اللين وأدب الجدل عند موسى عليه السلام، فلم يرد عليهم بالقسوة التي سمعها منهم ولم يتَّهمهم كما اتّهموه، إنما ردّ بهذا الأسلوب اللَّبِق، وبهذا الإيحاء: ﴿رَبِّيٓ أَعۡلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلۡهُدَىٰ مِنۡ عِندِهِۦ وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾. ولم يقُلْ: إني جئت بالهدى.
ثم قال: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾، سواء كنّا نحن أم أنتم، ولم يقُلْ: أنتم الظالمون،

[1] انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، (ج616/1).

لقد أطلق القضية، وترك للعقول أنْ تميز"[1]، قال ﷺ: **(إِنَّ مِنْكُمْ مُنَفِّرِيْنَ)**[2]، ومن التنفير في دعوة الحكام رميهم بالكفر، وسبّهم وشتمهم، فمن أين يستجيب الحاكم الذي بصلاحه صلاح كثير من الأمور؟!

2- لقد عَمِي فرعون وقومه عن إدراك الحق، فتمسكوا بالمكابرة والعناد، واعتصموا بتقليد الآباء والأسلاف الذي لا حجة ولا دليل عليه، وهذا مذموم عقلا وعادة، لذا قالوا: ما هذه المعجزات إلّا سحر مكذوب مفترى، ولم نسمع بدعوة التوحيد والتخلي عن الإشراك في التاريخ الغابر، ولا قيمة لتلك الحجج العقلية التي أوردها موسى لإثبات توحيد الله تعالى!![3].

لذا فلْتَحذر أخي المسلم من أن تجعل الحجة عندك هي العادة وما عليه الناس، بل عليك بما أتاك في الكتاب والسنة على فهم سلفك الصالح، ولا مانع من العادة إن لم تخالف الشرع، بل هي مطلوبة؛ لأنها تزيد تلاحم المجتمع.

3- "لا بد من استعمال الحكمة في الإجابة والجدال والمناظرة للسلاطين والحكام الجبابرة، كفرعون الطاغية، توقيا من الأذى، وتأملا في اللين، والإذعان للحق، لذا كان جواب موسى حكيما حين أعلن أن الله أعلم بمن جاء بالرشاد من عنده سبحانه، ومن المستحق لدار الجزاء، وإنه لا يظفر الظالمون أنفسهم بالشرك والكفر والمعصية بشيء عند الله وفي الآخرة"[4]، لذا فإن دعوة الحكام والسلاطين لا يحسنها إلّا الداعي الحكيم المخلص. ويرى الباحث أنّ هذا اللين نحتاجه أكثر وأكثر في زماننا.

4- حُلْم الله تعالى على عباده، فهذا فرعون ينفي ألوهية الله تعالى، ويدّعيها لنفسه، فلم يُهلكه الله تعالى مباشرةً، بل بعث إليه رسولين، وأمرهما أن يدعواه بلين ورفق، بل وقال تعالى في سورة أخرى: ﴿لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ﴾ [طه : 44].

5- الله هو المتكبّر بحق، ومن نازعه التّكبُّر أذلّه، فقد تعاظم فرعون وجنوده عن الإيمان بموسى ظلماً وعدواناً دون أن تكون لهم حجة تدفع ما جاء به موسى، وتوهّموا أنه لا معاد ولا بعث. ويقابل الاستكبار بالباطل الاستكبار بالحق الذي هو لله تعالى، فهو المتكبر في الحقيقة، المبالغ في كبرياء الشأن، فكان عقاب مدّعي التكبر في الدنيا

---

[1] الشعراوي، تفسير الشعراوي، (ج10942/17).

[2] [البخاري: صحيح البخاري، الأذان/تخفيف الإمام في القيام، ج142/1: رقم الحديث 702].

[3] انظر: الزحيلي، التفسير المنير، (ج104/20).

[4] المرجع السابق.

الإغراق في البحر.

6- دُعاة الضلال تضاعف لهم العقوبة؛ إذ كانوا في ضلال، وأئمة ضلال، ودعاة إلى عمل أهل النار، يدعون الناس إلى الضلال ويتبعونهم فيه، فيكون عليهم وزرهم ووزر من اتبعهم حتى يكون عقابهم أشد وأكثر[1]، قال ﷺ: **(لا تُقتَل نَفْسٌ ظُلْماً، إلَّا كَانَ عَلَى ابْنِ آدمَ الأَوَّلِ كِفْلٌ مِنْ دَمِهَا، لأَنَّهُ أَوَّلَ مَنْ سَنَّ الْقَتْلَ)**[2].

7- إنّ فرعون كان على علم بأنه عبد مربوب لله، وأنّ الله هو رب العالمين، فلْيَحذر الذين يخالفون الحق في الظاهر وهم في قرارة أنفسهم يعلمون الحق، فإنّ الله تعالى لا يخفى عليه شيء، وهو شديد العقاب.

8- البقاء للأصلح، "فقد نجّى الله موسى وقومه، وأنزل عليه التوراة مناراً للحق وتبصراً به، وهدى من الضلالة إلى الرشاد، ورحمة للمؤمنين بها، لعلّ الناس يتّعظون ويرجعون إلى ربهم من قريب، ويذكرون هذه النعمة، فيؤمنوا في الدنيا، وَيَثِقُوا بِثَواب الله في الآخرة"[3].

إذاً لا يغّرك الباطل، وإن رأيته منتفخاً كثيراً، فهو إلى زوال، ولا تستضعف الحق وإن رأيت السائرين عليه أقلّ القليل، فهو إلى بقاء، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ﴾ [الرعد : 17].

9- "بيان كيف تكون عاقبة الظَلَمة دماراً وفساداً"[4].

10- الحذر من أئمة الضلال، ودعوتهم والتحذير منهم ومن طرقهم، وإيجاد دعاة أئمة في الخير؛ لأنّ الناس لا بد لهم من إمام فإن كان في الحق وإلا في الضلال، والله المستعان.

المطلب الثالث: ذكر قصة موسى عليه السلام من دلائل نبوة محمد ﷺ

قال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَهۡلَكۡنَا ٱلۡقُرُونَ ٱلۡأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لَّعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ٤٣ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلۡغَرۡبِيِّ إِذۡ قَضَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلۡأَمۡرَ وَمَا كُنتَ مِنَ

---

[1] انظر: التفسير المنير، (ج104/20).

[2] [البخاري: صحيح البخاري، أحاديث الأنبياء/خلق آدم صلوت الله عليه وذريته، ج133/4: رقم الحديث 3335].

[3] الزحيلي، التفسير المنير، (ج111/20).

[4] المرجع السابق.

ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۚ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ ۚ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۖ قَالُوا۟ سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓا۟ إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٩﴾ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾﴾ [القصص : 43-50].

أولاً: المناسبة

"بعد أن قص الله تعالى قصة موسى وهارون مع فرعون وقومه وما تضمنه من غرائب الأحداث والعبر، وتفصيل عجيب لا يعلمه إلا من عاصره، أو من أوحى الله إليه، لذا كان التعقيب بإثبات النبوة، لأن الإخبار بالغيب من دلائل النبوة، وخُتمت الآيات بأن المشركين لم يتركوا الاستجابة لدعوتك يا رسول الله لضعف الدلائل عليها، وإنما إتباعاً لأهوائهم وشهواتهم"[1].

ثانياً: معاني المفردات

- **الْقُرُونَ الْأُولَى:** "الأقوام السابقة، والآية التي جاءت فيها الجملة تعني أنّ الله أرسل موسى بالكتاب بعد هلاك الأقوام الأولين ليكون داعياً ونذيراً من جديد"[2].
- **بَصَائِرَ لِلنَّاسِ:** " أي: مُبَيناً للناس "[3].
- **فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ:** "أي بَعُد الأمد وطال عمرهم، فنسوا العهود، وحرّفت الأخبار، وتغيّرت الشرائع، واندرست العلوم، وانقطع الوحي. فجئنا بك رسولا"[4]، وهم على هذه الحال.

---

[1] انظر: الزحيلي، التفسير المنير، (ج20/113،114).

[2] دروزة، التفسير الحديث، (ج3/316).

[3] الزجاج، معاني القرآن، (ج4/146).

[4] الزحيلي، التفسير المنير، (ج20/113).

- **وَمَا كُنْتَ ثَاوِياً**: يقول: وما كنت مقيما يا محمد في أهل مدين[1].

- **بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ**: ما سبق من أعمالهم السيئة ... من الشرك وغيره[2].

ثالثاً: القراءات

قرأ الكوفيون(**سِحْرَانِ**) بكسر السين واسكان الحاء من غير ألف قبلها، وقرأ الباقون (**ساحِران**) بفتح السين وألف بعدها وكسر الحاء[3].

معنى كل قراءة

القراءة الأولى معناها: أنّ الرسالة التي مع موسى والرسالة التي مع محمد عَلَيْهِمَاٱلسَّلَامُ، سحران من الأسحار.

القراءة الثانية معناها: أنّ الكفرة يقولون: أنّ موسى ومحمد عَلَيْهِمَاٱلسَّلَامُ، ساحران حاشاهما[4].

العلاقة التفسيرية بين القراءتين

"يتبين أن هؤلاء الكفرة أرادوا أن موسى ومحمد عَلَيْهِمَاٱلسَّلَامُ اتّفقا وتعاونا على السحر، فهما ساحران، وما جاءوا به من التوراة والقرآن سحران، ولكنّ الله حفظهما من هذا الكلام"[5]، فهما رسولان كريمان كليمان يوحى إليهما.

خامساً: البلاغة

1- بين قوله تعالى: (**لَّٰكِنَّا**) و(**كُنَّا**): جناس[6]، وكذلك في قوله تعالى: (**تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌ**).

2- في قوله تعالى: (**بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ**): تشبيه بليغ، أي: أعطيناه التوراة كأنّها أنوار لقلوب الناس، حذف أداة الشبه ووجه الشبه فأصبح بليغاً.

---

[1] انظر: الطبري، جامع البيان، (ج585/19).

[2] انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، (ج136/20).

[3] ابن الجزري، النشر، (ج256/2).

[4] الآلوسي، روح المعاني، (ج298/10).

[5] أبو شعبان، تفسير القرآن بالقراءات العشر، (ج41/9).

[6] انظر: صافي، الجدول، (ج268/20).

3- في قوله تعالى: ﴿أَنشَأْنَا قُرُونًا﴾: المراد به الأمم؛ لأنهم يخلقون في تلك الأزمنة، فنسب إلى القرون بطريق المجاز العقلي[1].

ويرى الباحث: أنه تعالى لعلّه لم يذكر الأقوام بدل القرون لمزيد الاعتبار، فقد يقول الإنسان في نفسه: هم قوم غيرنا وذهبوا، أما عند ذكر الزمن ففيه تنبيه بليغ، وهو التشابه بيننا وبينهم، فهم أُنشئوا في زمن وها نحن قد أُنشئنا في زمن، فإن أسرفنا في الزمن كما أسرفوا في الزمن حلّ بنا ما حل بهم، فذِكْر المتشابهات فيه تنبيه على المختلفات، والله أعلم.

4- في قوله تعالى: ﴿لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَىٰ﴾، أي: هلّا أُوتي، فهي للتحضيض (يعني يرغبون في ذلك).

5- في قوله تعالى: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ﴾: الأمر خرج عن حقيقته إلى معنى التعجيز[2].

سادساً: التفسير الإجمالي

بعد أن أغرق الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فرعون وحاشيته، وكما أهلك الظَلَمة في القرون السابقة، آتى موسى عليه السلام التوراة تُبصّر الناس بالحق وتهديهم إلى الرشاد ورحمة لهم لعلهم يشكرون الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ على نعمائه.

وقصّة موسى وغيرها من القصص التي جاءت في القرآن الكريم على هذا التفصيل لا تكون، ولا يمكن أن يقصّها إنسان إلا أن يكون قد عاصر الأحداث بنفسه وأدرك تفاصيلها، أو أنه قد أُخْبِر بها ممّن عاصرها وكان في أحداثها، وهذا لم يكن لأحد من العرب، ولم يكن لمحمد ﷺ، فما كان مع موسى عليه السلام ولم يكن في أهل مدين بعد ذلك ليسألهم ويخبروه بهذه القصة.

إذاً لم يبق إلا أن يكون هذا وحي من الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أوحى به إلى رسول محمد ﷺ، وما العجب في ذلك؟ فقد أتى بعد موسى عليه السلام أناس كثر جيلاً بعد جيل، فتناسى الناس عهد ربهم عليهم وحرّفوا كتبه وانحرفوا عن عهدهم، فكان لا بد من إرسال رسولٍ ينذرهم، خصوصاً العرب وأهل مكة، فقد مرّت عليهم قرون لم يأتهم نذير، فلعلهم يتذكرون.

ولتكون هذه التذكرة حجة عليهم، فلا يقولوا حين يصيبهم العذاب بكفرهم ومعاصيهم:

---

[1] انظر: الصابوني، صفوة التفاسير، (ج406/2).

[2] انظر: المرجع السابق، (ج407/2).

لولا أرسلت إلينا رسولاً فنصدق به ونؤمن بك.

وهاهم قد جاءهم الحق ظاهر الدلالة موافقاً للحق الذي قبله مما أوتوه الأنبياء ﷺ كما أوتي موسى ﷺ، فهلّا صدّقوا بالحق إذ صدّق بعضه بعضاً؟ ولكن قالوا علواً واستكباراً: هذان ساحران –وحاشاهما– وما جاءوا به من التوراة والقرآن سحر يكمل بعضه بعضاً، ولذا قالوا: إنّا بكل كافرون.

فردّ الله عليهم بأن: قل لهم يا محمد: إن كان هذان الكتابان باطلين فائتونا بكتاب أهدى منهما نتبعه إن كنتم صادقين، ولأنهم كاذبون لن يستجيبوا لك، وما ذاك لعدم ظهور الحق عندهم، وإنما لغلبة الهوى عليهم. ومن أضل ممن جعل إلهه هواه؛ فالله لا يهدي من هذا حاله[1].

سابعاً: تحقيق المقاصد والأهداف من الآيات

1- "بيان إفضال الله تعالى على بني إسرائيل في ذلك الزمان بإنزال التوراة فيهم كتاباً كلّه بصائر وهدى ورحمة"[2].

2- "كلمة **(وَمَا كُنتَ)** في مواضع عدّة في القرآن تدلّ على أن رسول الله جاء بأخبار لم يقرأها في كتاب، ولم يسمعها من مُعلِّم؛ لأنه لا يقرأ، ولم يُعرف عنه أنه جلس إلى مُعلِّم، وأهل الكتاب هم الذين يعرفون صدْق هذه الأخبار؛ لأنها ذُكِرت في كتبهم".[3]

3- لا يُقبَل خبر من أحد إلا إذا كان المُخْبِر للخبر حاضراً أو سامعاً للخبر، أمّا أن يدّعي أن فلاناً قال أو عمل فيُقبَل قوله هكذا!، فهذا حرام في ديننا، قال ﷺ: **(بِحَسْبِ الْمَرْءِ مِنَ الْكَذِبِ أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ)**[4]، فقد قال تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [القصص : 44]؛ إذاً ما ذكره النبي ﷺ من قصة موسى ﷺ وحي يُقبَل، وغيره ممن بعده لا يأتيه الوحي، فلا يُقبَل خبره إلّا إن كان

---

[1] انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، (ج1/616-617)، وانظر: الصابوني، صفوة التفاسير، (ج2/401-403).

[2] الجزائري، أيسر التفاسير، (ج4/67).

[3] الشعراوي، تفسير الشعراوي، (ج18/10941).

[4] [مسلم: صحيح مسلم، مقدّمة مسلم/النهي عن الحديث بكل ما سمع، ج1/10: رقم الحديث 5].

شاهداً أو سامعاً لما يخبر به[1].

4- لا حساب إلا بعد البيان، قال تعالى: ﴿وَلَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [القصص: 47]، فلو عذَّبهم الله دون أن يرسل إليهم رسولاً لكانت حجة لهم [2].

فالعذر بالجهل قائمة عليه الأدلة الشرعية، وهذا أحدها. ويتفرّع عن هذا أنّه لا يُكَفَّر أحد من المسلمين، ولو ارتكب كفراً إلا بعد التبيين له ممن هو أهل للتبيين، وهذا ينطبق على الحاكم والمحكوم، ومثل ذلك سائر الأحكام الشرعية، مثل: التبديع أو التفسيق، والله الموفق.

5- ينبغي على الداعي أن يقوّي دعوته بالأدلّة؛ لإقامة الحجة أو لمزيد إقناع، فتحدّاهم ﷺ بقوله: آتوني بكتاب مثبت من عند الله أهدى من التوراة والقرآن؛ بعد أن أقام الحجة والبراهين الساطعة على إثبات الوحي والنبوة.

6- "بيان الحكمة من إرسال النبي محمد ﷺ، بل وكل الرسل: وهي تبليغ شريعة الله ووحيه، وتصحيح العقيدة، وإعلان كلمة التوحيد، حتى لا يبقى لهم عذر بالجهل بالأحكام أو الاعتقاد بعد بلوغ خبر الرسل لهم، وإكمال البيان"[3].

7- "إنّ خطة الكفار واحدة في كل زمان، دأبهم المكابرة والعناد والإنكار، وطلب المعجزات المادية المحسوسة، فإنه بالرغم من حدوثها لن يؤمنوا لأن المُكَذِّب بمعجزة واحدة مُكَذِّبٌ بكل المعجزات"[4].

8- علينا أن نتعظ بكل قصة وموقف يمر بنا في حياتنا، سواء كانت تلك القصة أو الموقف حدث معنا أو مع غيرنا، لئلّا يعتاد القلب على الغفلة وعدم الاتّعاظ، فيقسو فلا تؤثر به موعظة، فلا بدّ من المجاهدة على ذلك، حتى تلين قلوبنا لذكر الله وما نزل من الحق.

9- اليهود أئمة في الكفر، "فاليهود علّموا المشركين أن يقولوا لمحمد صلّى الله عليه وسلم: لولا أوتيت مثل ما أوتي موسى، فإنه أوتي التوراة دفعة واحدة. وهؤلاء اليهود الذين توارثوا الكفر هم الذين كفروا بما جاء به موسى من قبل، فقالوا في موسى وهارون: هما

---

[1] انظر: العثيمين، تفسير سورة القصص، (ص214).

[2] انظر: الشعراوي، تفسير الشعراوي، (ج10946/17).

[3] المرجع السابق.

[4] الزحيلي، التفسير المنير، (ج121/20-122).

ساحران، فقلدهم كفار قريش وقالوا عن موسى ومحمد مثل ذلك القول، واتفق الفريقان على الكفر بكلّ من التوراة والإنجيل والقرآن، وعلى الكفر بموسى وعيسى ومحمد على نبينا وعليهم الصلاة والسلام"[1].

10- على الداعي أن يدحض الشبهة بالحجة المفحمة غير المحتملة، وأن يقابل التحدي والعناد بتحدّ أشد منه، فإذا كفرتم معاشر اليهود والمشركين بكتب الله المنزلة على رسله، فأحضروا كتاباً أهدى منها يتبعه الناس، ليكون ذلك عذرا لكم في الكفر، ومسوغا لما أنتم عليه، إن كنتم صادقين في أن تلك الكتب سحر مفترى.

11- إذا لم يؤمن الناس بهذا القرآن ولم يأتوا بكتاب من عند الله، فهم أهل ضلال وأهواء، يتبعون ما تملي عليهم شهواتهم وآراؤهم الخاصة وشياطينهم، دون حجة لهم ولا دليل[2].

12- فلْيَحذر الإنسان من اتباع الهوى فإن أتاك الدليل فلا ترده لهواك، أو لشبهة تقابل بها نصاً أو إجماعاً، أو قياسا صحيحا، فليس هذا بإنصاف.

13- لا بد من الاختيار الدقيق للزمان والمكان في الدعوة على الله تعالى، فقد جاءت بعثة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم في أوانها واشتداد الحاجة إليها، ولا تتأخّر أيّها الداعي في بيان الحق خصوصاً عند انتشار الباطل والجهل وفُشُوّه، وإن ظنّ أنّ دعوته سوف لا يقبلها الكثير، فلا عليه، ففعل ما عليك ولا عليك.

14- بعثة النبي ﷺ كانت عبارة عن رحمة إلهية رحم الله بها العالمين، فالدولة الإسلامية دولة رحمة وحكمة، ودولة أُلْفة واجتماع.

15- بيان تناقض المشركين وتناقض كلّ من يبتع الهوى ويترك الهدى الإلهي؛ فلا تستقيم الدنيا والآخرة للإنسان إلا باتباع هدى الرحمن.

---

[1] الزحيلي، التفسير المنير، (ج20/121-122).

[2] المرجع السابق.

الخاتمة

أولاً: النتائج:

الحمد لله الذي جعل لي نصيباً في تدبّر هذه الآيات، ودراستها دراسة تحليلية، وبيان ما فيها من مقاصد، وقد خلصت دراستي لهذه الآيات إلى نتائج وتوصيات، نذكر منها الآتي:

1- أهمية معرفة مقاصد وأهداف آيات الله المباركات.

2- من أعظم معالم هذا المنهج الربّاني: العناية بالتوحيد والعقيدة؛ لأنها أساس يُبنى عليه ما بعده، فبقوته يقوى البنيان.

3- خطورة مخالفة أمر الله، واتّباع الهوى، فهو أساس كل شر، منه يتولّد؛ الظلم والكِبر وغير ذلك من الأخلاق الرذيلة والإفساد في الأرض، ولكنّ الله يمهل ولا يهمل، والله شديد العقاب لا يُعجزه شيء في الأرض ولا في السماء؛ فقد تظاهرت على ذلك الأدلة الشرعية والكونية، فاللُجوء إلى الله تعالى هو السبيل لترك اتّباع الهوى.

4- الإيمان سبب كل خير في الدنيا؛ بالنصر والتمكين والغَلَبة، والأنس بالله تعالى، وفي الآخرة بالجنة ونعيمها.

5- إن الدّاعي حِمله ثقيل، فلا بد له من التزوّد بما في القرآن من قصص وحِكَم ومواعظ وعبر؛ ليقتدي بالأنبياء في دعوته؛ ومن ذلك التخلّق بالأخلاق الفاضلة، والتي من أبرزها الإخلاص لله تعالى والزهد في الدنيا والتواضع للحق ورحمة الخلق ومعاونة الآخرين على الخير والعلم والصبر والحُلْم والفصاحة والبيان والحياء والكرم، بل وعلى كل مسلم أن يتحلّى بهذه الأخلاق وغيرها مما كان عليه الصالحون.

6- القرآن منهج حياة يسير عليه الإنسان، بل وتسير عليه الأمة جميعاً، وتُنظِّم شؤونها، بل وشؤون العالم بأسره، فالتفرّق والاختلاف شر وسبب لفشل المجتمع ودماره، ولا يمكن إزالة هذا الاختلاف إلا بالرجوع لمنهج القرآن الكريم الذي سار عليه السلف الصالحون.

7- منهج المسلم أن يحرص على اتباع الأدلة من القرآن والسنة بفهم سلف الأمة، وأن يحتاط لدينه؛ لأنه أغلى ما يملك؛ فهذا من علامات توفيق المسلم وسداده وإخلاصه.

8- المرأة صانها الإسلام وكل الشرائع الإلهية، فلا مزيد على ذلك.

9- ينبغي أن يكون المسلم مُتدبِّراً للأمور، ولا تمر عليه الأمور هكذا، بل لا بد من أن يستفيد منها، ويعتبر بها.

10- أنّ استشعار أسماء الله وصفاته وأفعاله من أعظم ما يُمكن أن يقوّم سلوك الفرد الذي غفلت عنه الكثرة المتكاثرة من مدارسنا وصروحنا العلمية في هذا الزمان.

11- أهمية هذه الأصول الثلاثة؛ وهي الإيمان بالله تعالى واليوم الآخر والنبي ﷺ.

12- المجادلة لمن خالف هُدى القرآن؛ مطلب شرعي وهَدْي إلهي، بشرط مراعاة المصلحة والمفسدة، ومَن الذي يُجادِل، ومتى يُجادِل، وكيف يُجادِل.

13- من أعظم ما يُنجّي المسلم البعد عن أسباب الشرور، والحذر من خطوات الشيطان، والتي على رأسها الإسراف والغفلة عن التوبة.

14- القصص أسلوب تربوي للكبار والصغار، يُؤنِس النفس، ويُغذّيها، ويُقَوِمها، ففيها متعة ورُقِي.

ثانياً: التوصيات

1- أوصي نفسي وجميع المسلمين بتقوى الله تعالى، فلا رُقِيّ إلّا به في الدنيا والآخرة.

2- على القائمين، كل في مكانه، أن يجعل من نتائج الأبحاث والرسالات قاعدة للتطبيق، حتى يكون العلم مُقترناً بالعمل.

3- الانشغال بالأهم عن المهم، وأولى ما يُشتغل به: العناية بالقرآن، وخصوصاً بمقاصد الآيات والسور، وما يُستنبَط منها، للعمل على تحويلها إلى واقع في حياتنا.

4- أوصي الدُّعاة دوام النظر في القرآن ومقاصد آياته.

وهذا جهد المقلّ يُقَدَّم ويُضاف للمكتبة الإسلامية، نسأل الله أن يجعل هذا البحث، مفتاح خير لنا – ولمن ساهم في إخراجه، ولمن قرأه – في حياتنا ذُخراً لنا بعد مماتنا.

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المرسلين،

وعلى نبينا أفضل الصلاة، وأتمُ التسليم، وعلى آله وصحبه أجمعين.

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

الآلوسي، شهاب الدين محمود ابن عبد الله الحسيني. (1415هـ). *روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني*، تحقيق: علي عبد الباري عطية، (د. ط). بيروت: دار الكتب العلمية.

إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار. (د. ت). *المعجم الوسيط*، تحقيق: مجمع اللغة العربية، (د. ط). (د. م). دار الدعوة.

الأبياري، إبراهيم بن إسماعيل (المتوفى: 1414هـ). (1405 هـ). *الموسوعة القرآنية*، (د. ط). (د. م). مؤسسة سجل العرب.

ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الشيباني (المتوفى: 606هـ). (1399هـ - 1979م). *النهاية في غريب الحديث والأثر*. تحقيق: طاهر أحمد الزاوى، محمود محمد الطناحي. (د. ط). بيروت: المكتبة العلمية.

البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله الجعفي، (1422هـ)، *الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه = صحيح البخاري*، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر. ط1. (د. م). دار طوق النجاة. (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي).

البدوي، يوسف محمد أحمد، *مقاصد الشريعة عند ابن تيمية*. (2000م). (د. ط). (د. م). دار النفائس.

البغوي، ، أبو محمد الحسين بن مسعود (المتوفى: 510هـ)، (1417 هـ - 1997 م)، *معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي*، المحقق: حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر، عثمان جمعة ضميرية ، سليمان مسلم الحرش، ط4. (د. م). دار طيبة للنشر والتوزيع.

البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط (المتوفى سنة 885هـ). (د. ت). *نظم الدرر في تناسب الآيات والسور*، (د. ط). القاهرة: دار الكتاب الإسلامي.

البناء، شهاب الدين أحمد بن محمد الدمياطيّ (المتوفى: 1117هـ). (1427هـ -2006م). *إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة* عشر، المحقق: أنس مهرة، ط3. لبنان: دار الكتب العلمية.

الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرة (المتوفى: 279هـ). (1395هـ-1975م). *سنن الترمذي*. تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ 1، 2)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ3)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ 4، 5)، ط2. مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي.

التميمي، محمد بن عبد الوهاب بن سليمان (المتوفى: 1206هـ). (1418هـ). *مختصر سيرة الرسول* ﷺ. ط1. المملكة العربية السعودية: وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد.

ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم الحراني (المتوفى : 728هـ)، (1419هـ - 1999م). *الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح*، تحقيق وتعليق: د. علي ابن حسن بن ناصر، د. عبدالعزيز بن إبراهيم العسكر، د. حمدان بن محمد الحمدان، ط2. الرياض: دار العاصمة.

ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم الحراني (المتوفى: 728هـ)، (1420هـ - 1999م). *العقيدة الواسطية: اعتقاد الفرقة الناجية المنصورة إلى قيام الساعة أهل السنة والجماعة*. المحقق: أبو محمد أشرف بن عبد المقصود، ط2. الرياض: أضواء السلف.

ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم الحراني (المتوفى: 728هـ)، (1416هـ-1995م)، *مجموع الفتاوى*، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، (د. ط). المملكة العربية السعودية – المدينة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحراني (المتوفى: 728هـ)، (1490هـ - 1980م). *مقدّمة في أصول التفسير*. (د. ط). بيروت: دار مكتبة الحياة.

الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل (المتوفى: 429هـ)، (1422هـ - 2002م). *فقه اللغة وسر العربية*. المحقق: عبد الرزاق المهدي. ط1. (د. م). إحياء التراث العربي.

الجزائري، أبو بكر جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر. (1424هـ-2003م). *أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير*، ط5. المدينة النبوية - المملكة العربية السعودية: مكتبة العلوم والحكم.

ابن الجزري، شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى : 833 هـ)، *النشر في القراءات العشر*، المحقق: علي محمد الضباع (المتوفى 1380 هـ)، (د. م). المطبعة التجارية الكبرى [تصوير دار الكتاب العلمية].

الجمل، حسن عز الدين، (2002). *مخطوطة الجمل معجم وتفسير لغوي لكلمات القرآن*. ط2. مصر: الهيئة العامة المصرية للكتاب.

الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله، (1397هـ-1977م)، *معجم البلدان*، بيروت: دار صادر.

ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (المتوفى: 241هـ)، (1416 هـ - 1995 م)، *مسند الإمام أحمد ابن حنبل*، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط1. القاهرة: دار الحديث.

الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (المتوفى 597هـ)، (د. ت). *كشف المشكل من حديث الصحيحين*، تحقيق: علي حسين البواب، (د. ط). الرياض: دار الوطن.

الخطيب، حسن عبدالله، (1429هـ-2008)، *أهداف ومقاصد وموضوعات سورة التوبة دراسة تحليلية، (رسالة ماجستير غير منشورة)*، الجامعة الإسلامية، غزة.

الخطيب، عبد الكريم يونس (المتوفى: بعد 1390هـ)، (د. ت). *التفسير القرآني للقرآن*، (د. ط). القاهرة: دار الفكر العربي.

الداني، أبو عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر (المتوفى سنة 444هـ). (1414هـ - 1994). *البيان في عدّ آي القرآن*، تحقيق: غانم قدوري الحمد، ط1. الكويت: مركز المخطوطات والتراث.

الدارمي، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل الدارمي، التميمي السمرقندي (المتوفى: 255هـ). (1412 هـ - 2000 م). *مسند الدارمي المعروف بـ (سنن الدارمي)*. تحقيق: حسين سليم أسد الداراني. ط1. المملكة العربية السعودية: دار المغني للنشر والتوزيع.

أبو داوود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: 275هـ). (د. ت). *سنن أبي داوود*. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد. (د. ط). صيدا - بيروت:

المكتبة العصرية.

دروزة، محمد عزت. (1383هـ). *التفسير الحديث [مرتب حسب ترتيب النزول]*، (د. ط). القاهرة: دار إحياء الكتب العربية.

الدرويش، محي الدين. (د. ت). *إعراب القرآن وبيانه*، (د. ط). سورية: دار الإرشاد.

الديلمي، محمد مطني أحمد. (د. ت). *سورة القصص دراسة تحليلية*. (د. ط). (د. م).

الرازي، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر (المتوفى: 666هـ). (1420هـ / 1999م). *مختار الصحاح*، المحقق: يوسف الشيخ محمد، ط5. بيروت – صيدا: المكتبة العصرية – الدار النموذجية.

الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل (المتوفى: 502هـ). (د. ت). *المفردات في غريب القرآن*، تحقيق: محمد سيد كيلاني، (د. ط). لبنان: دار المعرفة.

مرتضى الزبيدي، أبو الفيض محمّد بن محمّد الحسيني. (د. ت). *تاج العروس من جواهر القاموس*، تحقيق: مجموعة من المحققين، (د. ط). (د. م). دار الهداية.

الزجاج، أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل (المتوفى: 311هـ). (1408هـ – 1988م). *معاني القرآن وإعرابه*، المحقق: عبد الجليل عبده شلبي. ط1. بيروت: عالم الكتب.

الزحيلي، وهبة بن مصطفى. (1418هـ). *التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج*، ط2. دمشق: دار الفكر المعاصر.

أبو زرعة، عبد الرحمن بن محمد ابن زنجلة (المتوفى: حوالي 403هـ). (د. ت). *حجة القراءات*، محقق الكتاب ومعلق حواشيه: سعيد الأفغاني، (د. م). دار الرسالة.

الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد (المتوفى: 538هـ). (1407هـ). *الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل*، ط 3. بيروت: دار الكتاب العربي. الكتاب مذيل بحاشية (الانتصاف فيما تضمنه الكشاف) لابن المنير الإسكندري (ت 683) وتخريج أحاديث الكشاف للإمام الزيلعى.

أبو زهرة، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد (المتوفى: 1394هـ). (د. ت). *زهرة التفاسير*. (د. م). دار الفكر العربي.

السبت، خالد بن عثمان، (1432–2011). *قواعد التفسير جمعاً ودراسة*. ط3. (د. م). دار

ابن القيم للنشر والتوزيع.

السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله (المتوفى: 1376هـ). (1420هـ -2000م). *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط1. (د. م). مؤسسة الرسالة.

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (المتوفى: 911هـ). (1394هـ-1974). *الإتقان في علوم القرآن*، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (د. ط). مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (المتوفى: 911هـ). (د. ت). *أسرار ترتيب القرآن*، (د. ط). (د. م). دار الفضيلة للنشر والتوزيع.

الشاطبي، إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي (المتوفى سنة 790هـ). (1417هـ - 1997). *الموافقات*. تحقيق: أبي عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، ط1. (د. م). دار ابن عفان.

شرف الدين، جعفر. *الموسوعة القرآنية*، خصائص السور. (1420هـ). تحقيق: عبد العزيز بن عثمان التويجري. ط1. بيروت: دار التقريب بين المذاهب الإسلامية.

أبو شعبان، أحلام مصباح. (2006). *تفسير القرآن بالقراءات القرآنية العشر*. (رسالة ماجستير غير منشورة). منشورات الجامعة الإسلامية ورابطة علماء فلسطين – غزة.

الشعراوي، محمد متولي (المتوفى: 1418هـ). (1977). *تفسير الشعراوي - الخواطر*، (د. ط). (د. م). مطابع أخبار اليوم.

الشوكاني، محمد بن علي بن محمد (المتوفى: 1250هـ). (1414هـ). *فتح القدير*. ط1. دمشق، بيروت: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب.

الصابوني، محمد علي، (1417 هـ - 1997 م). *صفوة التفاسير*، ط1. القاهرة: دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع.

صافي، محمود بن عبد الرحيم. (1418 هـ). *الجدول في إعراب القرآن الكريم*. (د. ط). دمشق – بيروت: دار الرشيد – مؤسسة الإيمان.

الصوياني، أبو عمر محمد بن حمد، (1424هـ - 2004). *السيرة النبوية كما جاءت في الأحاديث الصحيحة (قراءة جديدة)*. ط1. (د. م). مكتبة العبيكان.

الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الشامي الطبراني (المتوفى: 360هـ)، *المعجم الأوسط*، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، (د. ط). القاهرة: دار الحرمين.

الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير الآملي (المتوفى: 310هـ). (1420هـ - 2000م). *جامع البيان في تأويل القرآن*. المحقق: أحمد محمد شاكر. ط1. (د. م). مؤسسة الرسالة.

طنطاوي، محمد سيد. (د. ت). *التفسير الوسيط للقرآن الكريم*. ط1. الفجالة - القاهرة: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.

الطيار، مساعد بن سليمان بن ناصر. (1429 هـ - 2008). *المحرر في علوم القرآن*. ط2. (د. م). مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي.

ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر (المتوفى : 1393هـ). (1984 هـ). *التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل من تفسير الكتاب المجيد»*، (د. ط). تونس: الدار التونسية للنشر.

ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر (المتوفى سنة 1393هـ). (1425هـ - 2004م). *مقاصد الشريعة الإسلامية*، المحقق: محمد الحبيب ابن الخوجة، قطر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.

العالم، يوسف أحمد. (1413هـ - 1993). *المقاصد العامة للشريعة الإسلامية*. (د. م). الدار العلمية للكتاب الإسلامي.

العثيمين، محمد بن صالح بن محمد (المتوفى: 1421هـ). (1436هـ). *تفسير القرآن الكريم سورة القصص*. ط1. المملكة العربية السعودية - االقصيم: مؤسسة الشيخ محمد ابن صالح العثيمين الخيرية.

العثيمين، محمد بن صالح بن محمد (المتوفى: 1421هـ). (1436هـ). *تفسير القرآن الكريم سورة النمل*. ط1. المملكة العربية السعودية - القصيم: مؤسسة الشيخ محمد ابن صالح العثيمين الخيرية.

العثيمين، محمد بن صالح بن محمد (المتوفى: 1421هـ). (صفر 1423هـ). *تفسير القرآن الكريم*، ط1. المملكة العربية السعودية: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع.

العثيمين، محمد بن صالح بن محمد (المتوفى: 1421هـ)، (1410هـ). *شرح اصول الإيمان*

(نبذة في العقيدة)، ط1. الرياض: دار الوطن للنشر.

العثيمين، محمد بن صالح بن محمد (المتوفى: 1421هـ). (1416هـ - 1996م). *شرح كشف الشبهات ويليه شرح الأصول الستة*، إعداد: فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان. ط1. الرياض: دار الثريا للنشر والتوزيع.

العثيمين، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: 1421هـ). (محرم 1424هـ). *القول المفيد على كتاب التوحيد*. ط2. المملكة العربية السعودية: دار ابن الجوزي.

عمر، أحمد مختار عبد الحميد (المتوفى سنة 1424هـ) بمساعدة فريق عمل، (1429هـ - 2008). *معجم اللغة العربية المعاصرة*، ط1، (د. م). عالم الكتب.

الغزنوي، أبو القاسم، نجم الدين محمود بن أبى الحسن بن الحسين النيسابوري (المتوفى: نحو 550هـ)، (1415 هـ)، *إيجاز البيان عن معاني القرآن*، المحقق: الدكتور حنيف بن حسن القاسمي، ط1. بيروت: دار الغرب الإسلامي.

ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس القزويني الرازي (المتوفى سنة 395هـ). (1399هـ - 1979م). *معجم مقاييس اللغة*. المحقق: عبد السلام محمد هارون. (د. م). دار الفكر.

الفاسي، علال بن عبد الواحد بن عبد السلام. (1993). *مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها*، ط5. (د. م). دار الغرب الإسلامي.

الفيروز آبادى، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب (المتوفى: 817هـ)، (د. م). *بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز*، المحقق: محمد علي النجار، (د. ط). القاهرة: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي.

القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق (المتوفى سنة 1332هـ). (1418 هـ). *محاسن التأويل*. تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري (المتوفى: 276هـ). (د. ت). *غريب القرآن*، المحقق: سعيد اللحام. (د. ط). (د. م). (د. ن).

القرطبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر (المتوفى سنة 671هـ). (1384هـ - 1964). *الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي*. تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط2. القاهرة: دار الكتب المصرية.

قطب، سيد قطب إبراهيم الشاربي (المتوفى سنة 1385هـ). (1412هـ). *في ظلال القرآن*، ط17. بيروت – القاهرة: دار الشروق.

القِنَّوجي، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي الحسيني البخاري (المتوفى سنة 1307هـ). (1412 هـ - 1992). *فتح البيان في مقاصد القرآن*، عُنِيَ بطبعهِ وقدّم له وراجعه: خادم العلم عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، صيدا – بَيروت: المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر.

القيسي، أبو محمد مكي بن أبي طالب. (1404هـ - 1984). (د. ت). *الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها*، تحقيق: محيي الدين رمضان، ط3. (د. م). مؤسسة الرسالة.

ابن القِيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قِيم الجوزية (المتوفى: 751هـ). (1416 هـ - 1996م). *مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين*. المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، ط3. بيروت: دار الكتاب العربي.

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي (المتوفى سنة 774هـ). (1395هـ-1988). *السيرة النبوية (من البداية والنهاية لابن كثير)*، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، بيروت – لبنان: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع.

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي (المتوفى: 774هـ). (1420هـ - 1999م). *تفسير القرآن العظيم*، المحقق: سامي بن محمد سلامة. ط2. (د. م). دار طيبة للنشر والتوزيع.

الكيلاني، ماجد عرسان. (1408 – 1988). *أهداف التربية الإسلامية*، (د. ط). المدينة: مكتبة دار التراث.

ابن ماجه: أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (المتوفى: 273هـ). (1430 هـ - 2009 م). *سنن ابن ماجه*. تحقيق: شعيب الأرنؤوط. عادل مرشد، محمَّد كامل قره بللي، عَبد اللّطيف حرز الله. ط1. (د. م). دار الرسالة العالمية.

المراغي، أحمد مصطفى. (د. ت). *تفسير المراغي*. (د. م). شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده.

مسلم، أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (المتوفى: 261هـ). (د. ت). *المسند*

الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، (د. ط). بيروت: دار إحياء التراث العربي.

مقاتل، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى (المتوفى سنة 150هـ). (1423هـ). *تفسير مقاتل بن سليمان*، تحقيق: عبد الله محمود شحاتة، ط1. بيروت: دار إحياء التراث.

محيسن، محمد سالم. (1409- 1989م). *المستنير في تخريج القراءات المتواترة*، ط1. بيروت: دار الجيل.

ابن منظور، محمد بن مكرم الأفريقي المصري. (د. ت). *لسان العرب*، ط1. بيرت: دار صادر.

موقع أمانة منطقة تبوك. *نبذة عن تبوك*. تاريخ الاطّلاع: 30 سبتمبر 2016. (http://www.tabukm.gov.sa/).

موقع جريدة الغد. (2005، 12 فبراير). *مقاييس الأبعاد في التراث الجغرافي العربي*. تاريخ الاطّلاع: 30 سبتمبر 2016، الموقع: http://www.alghad.com/articles/.

موقع ويكيبديا، الموسوعة الحرة. (14 مارس 2016). بحر *القلزم*. تاريخ الاطّلاع: 30 سبتمبر 2016. الموقع: (https://ar.wikipedia.org/wiki/بحر_القلزم).

النحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد (المتوفى: 338هـ). (1409هـ). *معاني القرآن الكريم*. تحقيق : محمد علي الصابوني، ط1. مكة: جامعة أم القرى.

نخبة من أساتذة التفسير. (1430هـ - 2009م). *التفسير الميسر*. ط2. المملكة العربية السعودية: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

النيسابوري، نجم الدين أبو القاسم محمود بن أبى الحسن بن الحسين (المتوفى: نحو 550هـ). (1415هـ). *إيجاز البيان عن معاني القرآن*. المحقق: الدكتور: حنيف بن حسن القاسمى، ط1. بيروت: دار الغرب الإسلامي.

النيسابوري، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: 405هـ). (1411 - 1990). *المستدرك على الصحيحين*. تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن الهائم، شهاب الدين أحمد بن محمد المصري. (1992). *التبيان في تفسير غريب القرآن*. تحقيق: د. فتحي أنور الدابولي. ط1. القاهرة: دار الصحابة للتراث بطنطا.

فهرس الآيات

أولاً: فهرس الآيات القرآنية للجانب النظري

طرف الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
﴿ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ ﴾	البقرة	111	41
﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ﴾	البقرة	186	40
﴿ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ﴾	البقرة	208	32
﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾	البقرة	216	80
﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ ﴾	هود	113	87
﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾	يوسف	2	الواجهة
﴿ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ ... ﴾	يوسف	90	87
﴿ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ﴾	الرعد	17	107
﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾	النحل	43	98
﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ ﴾	الإسراء	15	32
﴿ لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾	طه	44	106
﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ...	النور	55	75
﴿ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ﴾	النمل	40	ت
﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾	القصص	5	22
﴿ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ ﴾	القصص	25	19
﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴾	القصص	52	19
﴿ ... سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾	القصص	55	19
﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ ﴾	القصص	58	24
﴿ إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ﴾	القصص	85	19

﴿ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾	فاطر	6	86
﴿ إِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمۡۖ وَلَا يَرۡضَىٰ ... ﴾	الزمر	7	66
﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾	الشورى	11	98
﴿ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥ ﴾	الطلاق	3	52
﴿ فَلَمۡ يُغۡنِيَا عَنۡهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗا ﴾	التحريم	10	32
﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ٢٦ إِلَّا ...	الجن	27-26	47

ثانياً: فهرس الآيات القرآنية للجانب التطبيقي (آيات الدراسة):

طرف الآيات	رقم الآية	الصفحة
سورة النمل		
﴿ وَلُوطًا إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ ... ﴾	58-54	27
﴿ قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَىٰٓۗ ... ﴾	64-59	32
﴿ قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ ... ﴾	75-65	42
﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ... ﴾	81-76	48
﴿ وَإِذَا وَقَعَ ٱلۡقَوۡلُ عَلَيۡهِمۡ أَخۡرَجۡنَا لَهُمۡ دَآبَّةٗ مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ تُكَلِّمُهُمۡ ... ﴾	85-82	54
﴿ أَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا جَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ لِيَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ ... ﴾	88-86	56
﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيۡرٞ مِّنۡهَا ... ﴾	90-89	60
﴿ إِنَّمَآ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلۡبَلۡدَةِ ... ﴾	91	63
﴿ وَأَنۡ أَتۡلُوَاْ ٱلۡقُرۡءَانَۖ فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ ... ﴾	92	65
﴿ وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعۡرِفُونَهَا ... ﴾	93	66
سورة القصص		
﴿ طسٓمٓ ١ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ... ﴾	6-1	71

﴿ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَرۡضِعِيهِ ... ﴾	13-7	77
﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسۡتَوَىٰٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗا ... ﴾	21-14	82
﴿ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلۡقَآءَ مَدۡيَنَ ... ﴾	24-22	88
﴿ فَجَآءَتۡهُ إِحۡدَىٰهُمَا تَمۡشِي عَلَى ٱسۡتِحۡيَآءٖ ... ﴾	28-25	92
﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلۡأَجَلَ وَسَارَ بِأَهۡلِهِۦٓ ... ﴾	32-29	96
﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلۡتُ مِنۡهُمۡ نَفۡسٗا ... ﴾	35-33	100
﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا بَيِّنَٰتٖ قَالُواْ ... ﴾	42-36	102
﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَهۡلَكۡنَا ٱلۡقُرُونَ ٱلۡأُولَىٰ ... ﴾	50-43	107

فهرس الأحاديث والآثار

طرف الحديث	الراوي	حكم الحديث	الصفحة
الصور قرن ينفخ فيه	أبو داوود في سننه	صحيح	57
احفظ الله يحفظك	الترمذي في سننه	صحيح	81
التائب من الذنب كمن لا ذنب له	ابن ماجه في سننه	صحيح	86
انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً ...	البخاري في صحيحه	صحيح	95
إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يُمْلِي لِلظَّالِمِ ...	مسلم في صحيحه	صحيح	81
إنّ الله تعالى لم ينزل داء إلّا ...	النيسابوري في المستدرك	صحيح	99
إن الله يحب إذا عمل أحدكم ...	الطبراني في المعجم الأوسط	صحيح	60
إن من البيان لسحراً	البخاري في صحيحه	صحيح	102
إن منكم منفرين	البخاري في صحيحه	صحيح	106
إنما شفاءُ العِيّ السؤال ...	أبو داوود في سننه	صحيح	98
أفضل الجهاد كلمة حق عند ...	النيسابوري في المستدرك	صحيح	102
أيها الناس، لا تتمنوا لقاء العدو ...	البخاري في صحيحه	صحيح	48
بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتَنًا ...	مسلم في صحيحه	صحيح	56
بِحَسْبِ الْمَرْءِ مِنَ الْكَذِبِ أَنْ ...	مسلم في صحيحه	صحيح	111
بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ ...	مسلم في صحيحه	صحيح	76
تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ...	مسلم في صحيحه	صحيح	31
خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي	الترمذي في سننه	صحيح	98
فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَى ...	البخاري في صحيحه	صحيح	31

فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه ...	البخاري في صحيحه	صحيح	99
لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي ...	مسلم في صحيحه	صحيح	76
لا تُقتَل نفس ظلماً، إلّا كان ...	البخاري في صحيحه	صحيح	107
مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَدْعُو، لَيْسَ بِإِثْمٍ ...	أحمد في مسنده	صحيح	40
مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ ...	مسلم في صحيحه	صحيح	87
مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ ...	الترمذي في سننه	حسن صحيح	66
من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل ...	البخاري في صحيحه	صحيح	80
من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ...	البخاري في صحيحه	صحيح	95
من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط ...	أبو داوود في سننه	صحيح	31
وكم من مريد للخير لن يصيبه ...	الدارمي في سننه	صحيح موقوف	76